

الشيخ محمد الصوّاف ومنهجية المدرسة الدعوية في التفسير

ليث سعود جاسم القيسي

مقدمة:

يتناول هذا البحث منهجية تفسيرية ارتبطت بظهور الحركات الدعوية الإسلامية في القرن العشرين في العالم العربي والإسلامي، وذلك من خلال دراسة كتاب تفسير سورة الفاتحة وجزء عمّ لأحد أعلام هذه المدرسة الدعوية، وقد درج العلماء في القديم والحديث أن يفردوا سورة ما بالتفسير أو يفردوا جزءاً من أجزاء القرآن بالتفسير، ولكن في هذا التفسير الذي نحن بصدده نجد أنه جمع بين فاتحة الكتاب وخاتمة الكتاب لإعجاز يراه المؤلف رحمه الله، وسنبين ذلك في سطور البحث، أما المؤلف فهو علم من أعلام الإسلام عاش القرنين الهجريين الرابع عشر والخامس عشر وعاصر أحداثها بل ساهم في صناعة التاريخ في العراق وخارجه، ألا وهو الشيخ محمد محمود الصوّاف، وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة ومحورين وخاتمة:

المقدمة: تتضمن التعريف بالبحث.

المحور الأول: يتعرض للتعريف بالمؤلف وحياته الشخصية والعلمية ودوره في عصره، ويتكوّن من ثلاث مباحث.

المحور الثاني: يتعرض للكلام عن منهج الشيخ الصوّاف في تفسيره دراسة تحليلية.

الخاتمة: ذكرت فيها ما توصلت إليه من النتائج والتوصيات. أسأل الله تعالى أن يوفق للخير.

المحور الأول: الشيخ الصوّاف، نشأة وتعريفاً وحركة:

سيتناول هذا المحور التعريف باسمه ونسبه، ودراساته الأولى، وبنائه العلمي وإنتاجه الثقافي

والدعوي:

المبحث الأول: أسرته ودراسته الأولية:

اسمه ونسبه: هو الشيخ محمد محمود الصوّاف الملقب بجمال الدين ويتسبب إلى قبيلة طي وهي جزء من شمّر، وقد نزحت قبيلته من حائل الجزيرة إلى الموصل قبل أكثر من مائتي عام^(١)، وقد ولد الشيخ الصوّاف في الأول من شوال ١٣٣٣ هـ الموافق ١٢-٨-١٩١٤ هـ وتربى في أسرة صالحة لها مكانتها الاجتماعية، فوالده كان يعمل بتجارة الصوف ولقبت الأسرة بلقب المهنة التي كانت تمتنعها، فضلاً عن اهتمام أسرته بزراعة الحنطة والشعير^(٢). يقول الشيخ الصوّاف: "وكان أبي قد تزوج امرأة من أقاربه فولدت له ستة أولاد ثم توفيت، فتزوج والدتي وولدت له أكثر من عشرة أولاد"، فكان ترتيب الشيخ الرابع عشر في الأسرة^(٣).

كانت أسرته تحب دولة الخلافة العثمانية وكذلك أهل الموصل الذين دافعوا عن الأتراك وأوهم عندما تتبعهم الإنجليز بعد احتلال العراق، ويقول الشيخ الصوّاف بأن اثنين من إخوانه خرجا لجهاد الإنجليز في استنبول واستشهد الكبير واسمه فتحي ورجع الآخر واسمه علي^(٤)، ويقول الصوّاف: "هكذا كانت نشأتنا في أسرة متواضعة متحابّة فيما بينها قوية الصلات بجيرانها"^(٥).

ولا ندري متى تزوج الشيخ الصوّاف؟، فلم يذكر ذلك في كتبه ولكنه رزق بخمسة أولاد وثلاث بنات، أكبرهم الدكتور مجاهد الذي يعيش في جدة وله مكتب محاماة هناك وزرته فيه، وأبناؤه الآخرون: مصلح ومنقذ ومرشد ومبشر.

دراساته الأولية:

المسجد هو المدرسة الأولى في كل زمان ومكان التي تنشأ فيها الأجيال وتربى، يقول الشيخ الصوّاف: "المسجد هو الذي يربي الرجال، وأول مسجد قصده ونشأت فيه هو مسجد الرضواني، ثم مسجد سوق الحنطة، وقرأت القرآن على يد رجل من البادية اسمه الحاج ياسين رحمه الله وكان مشرق الوجه كأنه البدر وكان يقول لي دائماً: يا ولدي جعلك الله من العلماء العاملين. وأرجو أن تكون هذه الدعوة قد أصابتنى"^(٦).

١- انظر: الشيخ محمد محمود الصوّاف، من سجل ذكرياتي، دار الخلافة، القاهرة، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧ م، ط ١، ص ٢٣.

٢- انظر: المصدر نفسه: ٢٣، ٣٣.

٣- انظر: المصدر نفسه: ٣٣.

٤- انظر: المصدر نفسه: ٣٣.

٥- انظر: المصدر نفسه: ٣٤.

٦- انظر: الصوّاف، من سجل ذكرياتي، ص ٣٣.

وكان الشيخ الصواف يدرس عند الشيخ صالح الجهادي في مسجد باب الطوب، وتميز بأنه جمع بين التعليم المسجدي والتعليم الحكومي، فكان يدرس في المدرسة الابتدائية ليلاً وفي المساجد نهاراً، فبرع في علوم الفقه والأصول والفتاوى والشعر والأدب^(٧). ثم تنادى العلماء في الموصل لتأسيس مدرسة دينية ينتخب لها اثنا عشر طالباً وكان من ضمنهم الشيخ الصواف، وكانت مدة الدراسة ٦ سنوات وأسميت هذه المدرسة بالفيصلية، يديرها مؤسسها الشيخ عبد الله النعمة وكان مكانها في المسجد الكبير في الموصل المسمى بجامع الحدباء لأن منارته محدبة ومائلة وسميت مدينة الموصل بالحدباء نسبة إلى المنارة^(٨). وفي سنة ١٩٣٦م تخرج الشيخ الصواف في المدرسة الفيصلية وأخذ الإجازة العلمية ومنح لقب "جمال الدين" وهو عرف درج عليه العلماء عند تخريج طلبة العلم، وكان ذلك الحفل هو آخر حفل تمنح فيه إجازة لأربعة من العلماء في تلك المدرسة، وقرئت الإجازة مسلسلة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم^(٩).

أهم شيوخه في هذه المرحلة^(١٠):

تتلمذ الشيخ الصواف على أشهر علماء زمانه في الموصل وهم:

- * الشيخ عبدالله النعمة وكان أعلم أساتذته، ولهذا يجله ويثني عليه.
- * الشيخ صالح الجهادي.
- * الشيخ محمد طاهر أفندي.
- * الشيخ عبد القادر أفندي.
- * الشيخ أحمد سعد الدين.

المبحث الثاني: بناؤه الثقافي والفكري، دراسته العليا وتفوقه فيها:

وفي سنة ١٩٣٩م اختارت مديرية الأوقاف مجموعة من العلماء للسفر إلى الأزهر للتخصص فقبل الشيخ الصواف في كلية اللغة العربية، ولظروف الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٠م رجعت البعثة إلى العراق ولم تتح لها فرصة الاستمرار، لكن الذين يقدرون دور العالم في المجتمع والحاجة الماسة لوجود دعاة وخطباء وأهل علم ووعي رأوا أن يختار عشرة علماء ليذهبوا إلى استكمال دراستهم الأزهرية فاختار الشيخ

٧- انظر: المصدر نفسه: ٢٤، ٢٥.

٨- المصدر نفسه: ٣٦، ٣٩.

٩- المصدر نفسه: ٤١.

١٠- المصدر نفسه: ٣٩، ٤٠.

الصوفاء المجموعة وكانوا من العرب والأكراد، وشغلت الرواق العراقي ليكون سكنًا دراسيًا لطلاب البعثة، وقد زار الباحث الرواق أثناء الدراسة في الأزهر وكان يسكنه بعض الطلاب من الأكراد^(١١).
عندما انتظم الشيخ الصوفاء في كلية الشريعة طلب من إدارة الأزهر أن تسمح له بإنهاء المرحلة في سنتين بدل أربع على أن يمتحن كل سنتين في سنة واحدة فأتى التخصيص في سنتين، والعالمية في سنة واحدة، وأنهى المرحلتين بتفوق، فكان أمرًا أثار ضجة أغضبت الشيخ حمروش أحد كبار هيئة العلماء، فقال له: "إيه .. ده؟؟ تريد أن تطوي الزمن طيًّا؟" فشكلت له لجنة امتحان ضمت أربعة من المشايخ وامتحن لمدة ثلاث ساعات فنجح، ولكن ألغيت النتيجة!، ثم امتحن تحريريًا امتحانًا إضافيًا!، وكان رئيس اللجنة الممتحنة الشيخ محمد علي السائس عضو هيئة كبار العلماء وصاحب كتاب آيات الأحكام، ونجح للمرة الثالثة أيضًا وأصدر الشيخ مصطفى عبد الرزاق شيخ الأزهر قرارًا بنجاحه، وعندما زاره الشيخ الصوفاء استقبله وقال له: "يا بني فعلت ما يشبه المعجزة وسنتت سنة في الأزهر لم تكن"^(١٢).
شيوخه في الأزهر^(١٣):

ومن العلماء الذين درس عليهم الشيخ الصوفاء في الأزهر - ولا شك أنه درس على غيرهم -:
الشيخ حمروش، شيخ الكلية وعضو هيئة كبار العلماء في الأزهر.
الشيخ محمد علي السائس، عضو هيئة كبار العلماء ومؤلف كتاب آيات الأحكام.
الشيخ أحمد أبو سنة، هو أستاذه في علم أصول الفقه وكان عضوًا في مجمع الفقه الإسلامي.

إنتاجه العلمي:

إن الدور التوجيهي والتربوي يتطلب جهداً دعويًا في التأليف والكتابة فلذلك كان للشيخ الصوفاء إنتاجه العلمي المتنوع والذي كان أغلبه يصب في معالجة قضايا الأمة بشمولية الإسلام، فعلى الرغم من انشغال الشيخ الصوفاء بأعمال الدعوة ومسؤولياتها أصدر أربعة وعشرين كتابًا، وعشرات المقالات في مجلة الأخوة الإسلامية ومجلة اللواء الإسلامي وغيرها، وكانت مؤلفاته تعالج قضايا الفكر الإسلامي وما يتعلق به، وهي كالآتي:

-
- ١١ - المصدر نفسه: ٩٦، ١٠١.
 - ١٢ - المصدر نفسه: ٩٨، ٩٩.
 - ١٣ - المصدر نفسه: ٩٨-٩٩، ١٠٦.

أولاً: مؤلفاته في التفسير:

ومن أهم دراساته في القرآن وعلومه: تفسيره فاتحة القرآن وجزء عم الخاتم للقرآن: تفسير وبيان وهو موضوع دراستي هذه، وأما كتبه الأخرى فتصبّ في خدمة علم التفسير، وهي كالآتي:

القرآن الكريم: آثاره أنواره فضائله أو صافه خصائصه آدابه.

أم القرآن وخير ثلاث سور في القرآن.

نظرات في سورة الحجرات.

من القرآن.. وإلى القرآن: الدعوة والدعاة.

القيامة رأي العين.

عدة المسلمين في معاني الفاتحة وقصار السور من كتاب رب العالمين.

ثانياً: مؤلفاته في الفكر والدراسات الإسلامية:

وهذه المؤلفات منها ما هو في الفقه والدعاء والدعوة والفكر الإسلامي وهي: تعليم الصلاة، الصيام، نداء الإسلام، زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعدّهن، أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب، بين الرعاة والدعاة، المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، معركة الإسلام أو: وقائعنا في فلسطين بين أمس واليوم، الإسلام وعلم الفلك، رحلاتي في العالم الإسلامي، العلامة المجاهد الشيخ أجد الزهاوي: شيخ علماء العراق المعاصرين، من سجل ذكرياتي، صرخة مؤمنة إلى الشباب والشابات، دعاء السحر والمناجاة، لا اشتراكية في الإسلام، مقدمتان.

صفاته وفضله:

كان الشيخ الصوف يتميز ببسطة في الجسم وجمال في الصورة وجمهوريّة في الصوت مع أناة في المظهر، وكان ذا تواضع جم وذا هيبه عند العدو والصدق، لا يتأخر عن موقف من مواقف المروءة والشهامة، فكان كريم النفس واليد يجود بكل ما عنده في سبيل الإسلام والمسلمين، وهذا بشهادة كل من عرفه عن قرب أو رافقه في أسفاره، ولقد كانت له مواقف بطولية تمثلت فيها صور العزة والإباء والصلابة والرجولة والجرأة والصرامة، فلا تأخذه في الحق لومة لائم. كان صادقاً في نصيحته واضحاً في عبارته ولهذا كان خطيباً من خطباء العصر، أحاديثه وكلماته ومصنفاته تلهب الحماس وتستجيش المشاعر وكتابه صرخة مؤمنة إلى الشباب والشابات يشهد بذلك، وقد لمسنا ذلك منه ورأيناه في مواقف عديدة، يحرك الجماهير فيحمسهم أو يبكيهم ويجعلهم مقبلين على ما يريد منهم خدمة للإسلام، جاهد في فلسطين

وأصلح بين الأفغان أيام جهادهم ضد السوفييت في الثمانينات ونصح الحكام في السر والعلانية، كانت له روح الشباب والفتوة، وعزيمته لا تلين ولا تضعف أمام العقبات والمغريات.

كان الأستاذ الصواف مدرسة قائمة بذاتها، هابه الطغاة وأحبه الناس، فقد كان صادق اللهجة طيب اللقب، ودوداً إلى الصغير والكبير، يعيش هموم الناس ومشكلاتهم، يتفاعل مع الأحداث التي تواجه المسلمين في كل أقطارها ويبدل قصارى جهده في علاجها وحل معضلاتها^(١٤)، وتكفيه شهادة حب الشيخ أجد الزهاوي له وثقته به فكان لا يناديه إلا بكلمة "يا أخي الصواف"^(١٥)، أما الشيخ حسن البنا فيقول عنه الشيخ الصواف: "كان يستقبلني استقبال الوالد لولده والأخ لأخيه"^(١٦)، وأما شيخه الأول الذي أجازته بالإجازة العلمية الشيخ عبد الله النعمة الموصلي فقد أهدى صورته للشيخ الصواف وكتب عليها: هدية إلى النقيب محمد محمود الصواف، وهو الذي لقبه بجمال الدين. وقال عنه الشيخ علي الطنطاوي:

لا تسألوا عن صوفيه أو قطنه فمن الصفا أسموه بالصواف^(١٧).

الشيخ الصواف يرى سيدنا حمزة رضي الله عنه:

من أكبر الفضائل التي تضاف إلى أعماله التي قام بها في حياته الدعوية، فضيلة رؤيته لشهداء غزوة أحد وإعادة دفنهم، ذكر ذلك الدكتور طارق السويدان في سلسلته القيّمة: "قصة النهاية" نقلاً مباشراً عن فضيلة الشيخ الصواف، وهي الحادثة العظيمة التي تشرف بها بعض العلماء عندما أعيد دفن شهداء أحد، وكيف أنهم شاهدوا الصحابة رضوان الله عليهم بعد مضي ١٤٠٠ سنة على استشهادهم، وكيف أن أجسادهم باقية كما هي، لم تتغير ولم تتعفن ولم تتحلل مصداقاً لبشرى الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام للشهداء بأن الأرض لا تأكل أجسادهم، يقول الدكتور طارق السويدان: "حدثنا الشيخ محمود الصواف رحمه الله أنه دُعي فيمن دُعي من كبار العلماء لإعادة دفن شهداء أحد من الصحابة

١٤- انظر: عبد الله عقيل سليمان العقيل، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، دار النشر والتوزيع الإسلامية،

القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ط ٢، ٢١٠-٢١٣.

١٥- انظر: محمد محمود الصواف، العلامة المجاهد الشيخ أجد الزهاوي شيخ علماء العراق المعاصرين، دار الاعتصام،

القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ط ١، ص ٤.

١٦- انظر: محمد محمود الصواف، من سجل ذكرياتي، ص ١٠١.

١٧- محمد محمود الصواف، الإسلام وعلم الفلك، ص ١٠.

رضي الله عنهم في مقبرة شهداء أحد المعروفة بعد أن أصابها سيل فانكشفت الجثث، فدعي مجموعة من كبار العلماء لإعادة دفن هؤلاء الصحابة، ويحدثنا الشيخ محمد محمود الصواف أنه حضر ذلك بنفسه فيقول: ممن دفنت حمزة رضي الله عنه، فيقول عنه: ضخم الجثة مقطوع الأنف والأذنين، بطنه مشقوق وقد وضع يده على بطنه، فيقول: فلما حركناه ورفعنا يده سال الدم!!، ويقول: دفنته مع من دفنت من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم من شهداء أحد^(١٨) وقد سمع الباحث من الشيخ هذا الخبر سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م. فهنيئاً للشيخ الصواف هذه الرؤية، فشرَّف الناظر من شرف المنظور إليه.

المبحث الثالث: الصواف وحركة الحياة، مرحلة العمل الدعوي في العراق:

بدأ الشيخ الصواف النشاط الدعوي في الموصل ثم انتقل إلى بغداد سنة ١٩٤٦م بعد رجوعه إلى العراق وهو يحمل درجة العالمية التي تعادل الدكتوراه في زماننا هذا، وخير في العمل بين وزارة العدل قاضياً يتقاضى راتباً قدره ٧٥ ديناراً وبين وظيفة مدرس في كلية الشريعة ويتقاضى راتباً قدره ٢٥ ديناراً، ففضّل أن يكون مدرساً وكان اختياره للتدريس باعتباره وسيلة دعوية^(١٩).

وانطلق الشيخ الصواف يعمل مع الجمعيات الموجودة آنذاك في الساحة العراقية مثل: جمعية الشبان، وجمعية الهداية الإسلامية التي كان يرأسها الشيخ كمال الدين الطائي، وجمعية الأدب الإسلامية، وكان اشترك الشيخ الصواف في نشاطات جميع هذه الجمعيات لإيمانه بوحدة العمل الإسلامي لتفادي تعميق الفجوة أو الفرقة أو التباعد بينهم، وكان الشيخ أمجد الزهاوي يرأس هذه الجمعيات^(٢٠).
جمعية الأخوة الإسلامية بداية الطريق:

لكن تحرش الشيطان و وسوس للبعض من رجال جمعية الهداية الإسلامية في أن يبعد الشيخ الصواف بسبب توجهه الفكري، فكان الشيخ كمال الدين الطائي قومي التوجه فاصطدم مع التوجه الدعوي للشيخ الصواف^(٢١)، فانحازت مجموعة بقيادة الشيخ أمجد الزهاوي والشيخ الصواف والشيخ محمد القزلي ومحمد طه الفياض ومحمد عاصم نقيب الأشراف والشيخ إبراهيم الأيوبي وأنشأت جمعية

١٨- مقالة لطارق السويديان في الإنترنت منقولة من منتدى الساحات الإلكترونية.

١٩- الشيخ محمد محمود الصواف، صفحات من تاريخ الدعوة الإسلامية في العراق، دار الاعتصام، القاهرة، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م، ط ١، ص ١٨.

٢٠- الشيخ محمد محمود الصواف، العلامة المجاهد أمجد الزهاوي شيخ علماء العراق المعاصرين.

٢١- الشيخ الصواف، من سجل ذكرياتي، ص ١٠٩.

الأخوة الإسلامية، وحمل طلب التأسيس الشيخ أجد الزهاوي إلى نوري سعيد رئيس وزراء العراق آنذاك والذي لم يكن يرّد طلباً للشيخ أجد فتمت الموافقة وانتخب الشيخ أجد رئيساً والشيخ الصواف أميناً عاماً. أصبحت هذه الجمعية الوليدة محضنا دعويًا ومنطلقاً للتحرك في جميع أنحاء العراق شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً وخاصة أن شيخ علماء العراق ودُرَّتَه أجد الزهاوي الكردي يقودها، وكان أجد إذا قال كلمة أو أفتى بفتوى فلا يرّدها أحد، وانطلق الصواف يطوف بالعراق وينشر الدعوة ويفتح فروع الجمعية ويطبّق البرامج التربوية الروحية، ليقبل الشباب عليها من كل المستويات والأماكن رجالاً ونساءً من الفتيان والفتيات، ولهذا كانت الحاجة لأن تؤسس جمعية الأخت المسلمة برئاسة الحاجة نهال الزهاوي ابنة الشيخ أجد (٢٢).

نشاطه في الجمعيات الإسلامية:

ولو عدنا لاستكشاف خلفية بروز الصواف في نشاطه الدعوي لنجد أنه منذ فتوته المبكرة كان شخصية تحب عمل الخير وكان صاحب نخوة وعزة، وما أن تنادى علماء الموصل وعلى رأسهم شيخه عبد الله النعمة وذلك في الثلاثينات من القرن الماضي بإنشاء جمعية الشبان المسلمين كفرع للجمعية الأم في بغداد لتكون وسيلة للإصلاح الفكري والاجتماعي، و ردّاً عملياً على موجة التقليد للغرب التي ظهرت بعد الاحتلال الإنجليزي (٢٣)، ما أن سمع الصواف ذلك النداء حتى كان دافعاً له بأن يستفيد من ذهابه إلى مصر للدراسة بالاتصال بالجمعيات الإسلامية في مصر، وأولها جمعية الإخوان المسلمين، وجمعية الشبان المسلمين، وجمعية أنصار السنة، فضلاً عن لقاءه رجال الأحزاب الوطنية مثل: مصر الفتاة، وجمعية الأخوة الإسلامية التي كان يرأسها الشيخ طنطاوي جوهرى، وكان هذا في رحلته الأولى إلى مصر سنة ١٩٣٩م (٢٤). وعند عودته سنة ١٩٤٠م إلى العراق انطلق في النشاط الدعوي في الموصل من خلال جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشاركة ثلاثة من الوجهاء هم: عبدالرحمن، السيد محمود وعبد الرحيم محمود، واقترح الإخوة تغييرها إلى "الإخوان المسلمون" فرفضت الحكومة ذلك، وعندما استشار الصواف الشيخ حسن البنّا فأجابه بأنه لا عبرة بالأسماء وإنما بالمسميات (٢٥).

٢٢ - الشيخ الصواف، صفحات من تاريخ الدعوة الإسلامية في العراق، ص ٢٤ - ٢٥.

٢٣ - الشيخ الصواف، من سجل ذكرياتي، ص ٤٠.

٢٤ - المصدر نفسه: ص ٩٢، ٩٣، ٩٤، ١٠٦.

٢٥ - المصدر نفسه: ٦٣ - ٦٤.

الصوفاء وقضايا الأمة:

توسع العمل الإسلامي في العراق آنذاك ونشط في التفاعل مع قضايا الأمة في العراق وغير العراق، فلذلك بدأت جمعية الأخوة توعي الأمة بحقوقها، وكتبت المقالات وخرجت المظاهرات تطالب بإلغاء معاهدة "بورت سموث" التي تضمن لبريطانيا البقاء في العراق، وكان الشيخ الصوفاء يقود المظاهرات ويحمل على الأعناق ويخطب لساعات في الجماهير الغفيرة المحتشدة حتى قيل بأنه "هو أول من أنزل العمامة في الشارع السياسي العراقي، فكان طلاب كلية الشريعة يشاركون في المظاهرات بعمائمهم في الاحتجاج على معاهدة بورت سموث، ومشاركاً لكل الأحزاب العراقية، حيث اشترط عليهم أن تكون بقيادته فوافقوا على ذلك" (٢٦).

أما قضية فلسطين - بعد وعد بلفور المشؤوم - فقد أسست لها جمعيات منها جمعية إنقاذ فلسطين وجمعية فلس لمساعدة المجاهدين والمهاجرين الفلسطينيين وشكلت ثلاثة أفواج من المتطوعين للجهاد وقاد ذلك بنفسه (٢٧). وأما كفاح الجزائر فقد كانت جمعية الأخوة الإسلامية تخرج مظاهرات ضد فرنسا، وقد دعت الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس رابطة علماء الجزائر لزيارة العراق فأقامت له الاحتفالات وجمعت لشعبه التبرعات وذلك سنة ١٩٥٢م، وهكذا أعطت جمعية الأخوة الإسلامية دليلاً للأمة على وحدة الأمة الإسلامية وأن المسلمين جسد واحد (٢٨).

ولذلك أخذت الدوائر الغربية أمر بروز تيار شبابي ديني واع على محمل الجد، عندما رأت بأن الوزارات المتعاقبة والمالية لها كانت تسقط بالمظاهرات والضغط الشعبي لدرجة أن مدير التشريفات الملكية قال للشيخ الصوفاء: "والله لا أدري لماذا يخافك الحكام ويرونك كالبيع!! فأجابته الشيخ الصوفاء: أنا لا أملك سلاحاً ولا أريد أن أحارب أحداً... وهل أنتم بعيدون عن الله حتى تحاربوا هذا

-
- ٢٦- لقاء خاص مع الدكتور مجاهد الصوفاء نجل الشيخ محمد الصوفاء في جدة بتاريخ ١٧/٦/٢٠٠١م، وانظر: الشيخ الصوفاء، في سجل ذكرياتي، ص ١٤٢. وذكر ذلك الأستاذ يوسف العظم عندما قدم لكتاب نداء الإسلام وهو الذي كان يحمل الشيخ على كتفه في المظاهرات مع طلاب كلية الشريعة عندما كان يدرس هناك، وانظر: عبد الله عقيل سليمان العقيل، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، ص ٢١٣.
- ٢٧- الشيخ الصوفاء، من سجل ذكرياتي، ص ٨٢، ١٦٨، ١٦٩.
- ٢٨- المصدر نفسه: ٣٩٩-٤١٨، وانظر: عبد الله عقيل سليمان العقيل، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، ص ٢١٠.

الفكر الإسلامي! سيروا على منهاج الله ونحن لا ننازعكم في الحكم بل نريد حكم الله" (٢٩).

الصوف والوحدة الوطنية في العراق:

يعدّ الدور الذي مارسه الحركة الإسلامية في العراق نموذجاً لتعبئة الأمة في مواجهة أعداء الإسلام، ظهر ذلك بمواقفها الموحدة والموالية لهذا الدين بعيداً عن أي حس طائفي مغالٍ أو عرقي متعالٍ، يقول الأستاذ الصوف مشخصاً الحالة العراقية في تلك الفترة بقوله: "والواقع أن المشاكل التي وجدناها في العراق ليست بالمشاكل السهلة ولكن الله سلّم ولذلك لم تقع بيننا وبين الطوائف الدينية الأخرى أية مصادمات... فقد تجنّبنا كل مصادمة مع الطائفيات والحزبيات الأخرى وحتى الذين حاربونا لم نحاربهم بالعنف الذي حاربونا به بل قابلناهم بالحسنى" (٣٠)، ويقول عن الشيعة: "وكنّا نتعاون مع علماء النجف الأشراف الكبار وذهبت مع الشيخ أمجد عدة مرات للتعاون على نصرّة الإسلام وخصوصاً عندما انطلقت الشيوعية، وكان المجتهد الأكبر محسن الحكيم قد أصدر فتوى يكفر فيها من اعتنق الشيوعية وكانوا كلما اجتمعنا لأمر إسلامي كانوا معنا"، وأول اجتماع عقده علماء العراق سنّة وشيعة، عرباً وكرداً كان في جامع الإمام أبي حنيفة في الأعظمية، كل ذلك لأجل قطع الطريق على الشيوعية لكيلا تعبت في الأرض فساداً، وقد كان (٣١). ويقول الدكتور مجاهد الصوف بأنه: "كانت العلاقات وثيقة معهم وكنت أرافق الوالد رحمه الله إلى النجف وخلال زيارته إلى الأهوار وخاصة مدينة الجبايش... وكان الوالد يزور كثيراً من الطوائف الغالية من الشيعة حول الموصل مثل الشبك وغيرهم، وكثير منهم ترك عقائده وصلح حاله" (٣٢).

أما اليزيديون - وهم طائفة تعبد الشيطان ويسكنون في قرى خاصة بهم حول الموصل ولا يستخدمون في كلامهم حرفي السين والشين لأنها تعني الشيطان - فيقول الدكتور مجاهد الصوف عنهم: "وكان الوالد يزور اليزيديين في قراهم وكانت له علاقة قوية بهم ويحترمه زعماءهم، وكانوا إذا زرناهم يعطوننا السكين والذبيحة لنذبح بأنفسنا وقد أسلم على يد والدي بعض اليزيدية" (٣٣).

٢٩- المصدر نفسه: ١١٥.

٣٠- الشيخ الصوف، من سجل ذكرياتي، ص ١٤٢.

٣١- المصدر نفسه: ص ١٣٤-١٣٥، وانظر: محمد محمود الصوف، العلامة المجاهد أمجد الزهاوي، ص ٤٨.

٣٢- لقاء خاص مع الدكتور مجاهد الصوف في جدة بتاريخ ١٧/٦/٢٠٠١م.

٣٣- لقاء خاص مع الدكتور مجاهد الصوف في جدة بتاريخ ١٧/٦/٢٠٠١م.

التعاون مع النصارى ضد الشيوعية:

مدينة الموصل مدينة تاريخية قديمة، توالى عليها حضارات متعددة وكانت مركزاً للملح والنحل والفرق الدينية المتعددة، فما من فرقة إلا ولها مجموعة فيها وقد بلغ عددها أربع مائة فرقة وطائفة وديانة^(٣٤)، حتى أن أديرة النصارى عاشت كلها في ظل الحضارة الإسلامية وإلى العصر الحاضر وأهلها يمارسون حياتهم في المجتمع الموصل الذي يختلف عن غيره من المجتمعات العراقية في تركيبته الاجتماعية والدينية مما أعطى له خصوصية مميزة، لأنها مركز الزعامات النصرانية في العراق. والشيخ الصواف يعطينا نموذجاً في تعامل المسلم مع مجتمع متعدد النزعات والأديان في التعايش والتنسيق في القضايا المهمة بالنسبة لكل المواطنين، وكانت للمدرسة الدعوية التي تربى في أحضانها الصواف خبرة في التعامل مع هذه الأطياف، وبرز الصواف كنموذج مبكر للحركة الإسلامية في تعاملها مع الآخر في إطار الثوابت الإسلامية.

ولهذا كان له مع النصارى تعامل أخص، فكانت للشيخ الصواف علاقات قوية مع الكرادلة والمطارنة وهم القيادات الدينية النصرانية، ينسق معهم في المواقف العامة الخطيرة في المجتمع العراقي، وعن ذلك يقول الدكتور مجاهد الصواف^(٣٥): "كان والدي يزور النصارى في الأديرة والكنائس وخاصة في وقت الصراع مع الشيوعيين الذين كانوا يكفرون بالأديان جميعها فزار مثلاً الكاردينال روفائيل بيدويد وكان مطراناً في ذلك الوقت وقد كنت رسولاً لوالدي إلى المطران لإبلاغه بالفتوى بعدم جواز دفن الشيوعيين في مقابر المسلمين والنصارى وذلك بعد ثورة الشواف عام ١٩٥٩م"، ويقول بأنه كانت لهم زيارات عائلية لهم خاصة وأن والدة المطران كانت تدعوهم إلى أكل الكبة الموصلية (وهي أكلة مشهورة)، وبهذه الرؤية وهي القرب والتعارف مع من يسعى من معتنقي الطوائف والأديان الأخرى في المجتمع المسلم إلى الحفاظ على الوحدة الوطنية والوئام الاجتماعي.

المواجهة والهجرة:

بدأ في هذه المرحلة ظهور الشيوعية في العراق وكان لليهود الدور الكبير في ذلك لمواجهة المد

٣٤- وقد ذكر ذلك أستاذنا الدكتور محمد حامد الطائي رئيس قسم الجغرافيا في جامعة بغداد عندما كان يدرس لنا مادة

جغرافية العالم الإسلامي في كلية الدراسات الإسلامية وذلك في عام ١٩٧٤م.

٣٥- حديث شخصي في جلة بتاريخ: ١٧/٩/٢٠٠١م.

الإسلامي في العراق ومصر والشام وغيرها^(٣٦)، يقول الشيخ الصواف: إن الذين نشروا الشيوعية هم الإنجليز وأن الأحزاب الشيوعية مرتبطة بهم وكان مؤسس الحزب الشيوعي رجلاً نصرانياً اسمه فهد، من أهل الموصل، وكان مرتبطاً بالسفارة البريطانية التي كانت تدفع له ولليهود ممن كانوا خلف هذا النشاط^(٣٧).

فكانت هناك مواجهة على نطاق الإعلام والشائعات، ثم كانت الثمرة أن قامت الثورة عام ١٩٥٨م والتي استطاع الشيوعيون توجيهها ثم بدأت المواجهة بقتل الإسلاميين ومن يؤيدهم سحلاً بالحبال أو إعداماً على أعمدة الإنارة في الطرقات، وسجن الشيخ خمسة أشهر وعذب وهدد بالقتل وذلك مما جعل إخوانه وتلامذته ينصحونه بالخروج من العراق تأميناً لشخصه وللدعوة التي أصبحت مستهدفة من خلاله، فكان أن قبل تلك النصيحة وهاجر في سبتمبر عام ١٩٥٩م بعد الخروج في رحلة شاقة تحفها المخاطر^(٣٨).

الشيخ الصواف والعمل العالمي:

وهذه مرحلة جديدة في حياة الشيخ الصواف حيث خرج إلى الشام ثم إلى الأردن لكنه لم يجد فيها مستقراً له، فاستقبلته المملكة العربية السعودية سنة ١٩٦٢م بدعوة من الملك فيصل رحمه الله، لينطلق بعد استقراره في المملكة ويقوم بأدوار عظيمة على النطاق العالمي فأصبح شخصية مرموقة، وكان دائماً سفيراً لإصلاح ذات البين فكانت له رحلات في عموم العالم الإسلامي يدعو للتضامن الإسلامي ولنصرة قضايا الأمة الإسلامية، كقضية كشمير والفلبين وقبرص وقضية أفغانستان والأقليات الإسلامية، وكانت إسهاماته في العمل المؤسسي الرسمي والشعبي في بناء المؤسسات التي يكون لها دور في وحدة العالم الإسلامي وحل القضايا والتحديات التي تواجهه ومن ذلك: إسهامه في تأسيس رابطة العالم الإسلامي لإيجاد روابط الأخوة والمحبة بين المسلمين وحل المشكلات، والمجلس العالمي للمساجد وذلك لإعمار المساجد في عموم العالم الإسلامي وبيان أهميتها في تقوية الروابط بين المسلمين، وكان الشيخ الصواف هو

٣٦- انظر محمد محمد سليمان، مذكرات شيوعي اهتدى، الخرطوم، ١٩٧٦م، ص ١٠-١٢.

٣٧- الشيخ الصواف، من سجل ذكرياتي، ص ١٤١، ٢٤٢.

٣٨- المصدر نفسه، ١٥٧-١٥٨، ٢٨٠-٢٨٥، وانظر: طارق الأعظمي، "نشوء الحركة الإسلامية السنية المعاصر في العراق"، مقالة في موقع www.islamonline.net، قسم ثقافة وفن.

الذي أشار على الملك فيصل رحمه الله بإنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي لإيجاد فرص تفاهم بين الدول الإسلامية لحل المشاكل السياسية التي تواجهها وحل القضايا من خلال المجامع الدولية، كما كان من المؤسسين لمجمع الفقه الإسلامي لمواجهة التحديات الحديثة وإيجاد الحلول للمعاملات والحوادث المستجدة مثل الجوانب الاقتصادية والطبية والاجتماعية.

ومن الإسهامات المهمة دخوله في تجربة الإنتاج السينمائي لإدراكه أهمية الإعلام والفن في التأثير على المجتمعات فأسس شركة صوت الحق للإنتاج السينمائي والصوتي، وكان له صلة بهدف دعوي في الوسط الفني، وكان يشجعهم وينصحهم بالرجوع إلى الله فتأثر به بعض أولئك الفنانين مثل فريد شوقي وياسمين الحيام ومحمود خيرى وقد أنتجت هذه الشركة سلسلة أفلام للأطفال، وسلسلة عطاء الإسلام، ومقابلات مع شخصيات وغير ذلك من أعمال كانت جديدة على الساحة آنذاك، وفي أواخر حياته بذل جهوداً في إنشاء مراكز تحفيظ القرآن في تركيا لتخريج جيل جديد يرتبط بالقرآن وكانت وفاته بعد زيارة لهذه المراكز في تركيا.

مسك الختام إلى الرفيق الأعلى:

بعد رحلة دامت ثمانين عاماً في ميزان الأعمار ولكنها مئات السنين في ميزان الأعمال، وإثرائته من رحلة تفقديه لمراكز حفظ القرآن في تركيا التي كان يزورها في كل صيف، حيث كانت هذه سياحته الصيفية بين أحبابه، وبينما كان ينتظر الطائرة هو وزوجته الصابرة للرجوع إلى مكة المكرمة، صعدت روحه إلى بارئها وهو جالس على كرسيه، تقول زوجته (٣٩): كنت أنظر إليه ويديه الجوازات فأخذته سنة من النوم وسقطت من يده الجوازات فأردت أن أوقظه ولكن روحه كانت قد حلقت إلى بارئها في سلام وذلك في يوم الجمعة الموافق ١٣ ربيع الآخر ١٤١٣ هـ الموافق ١١ أكتوبر ١٩٩٢م فترحل الفارس ليحط في مقبرة المعلى مع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مجاوراً لقبر الزبير بن العوام رضي الله عنه (٤٠).

٣٩- اتصال هاتفي شخصي بالحاجة زوجة الشيخ الصواف عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، لتعزيتها من قبل الدكتورة إيمان

محمد عباس.

٤٠- مصطفى عاشور، "الصواف .. وفن صناعة الرجال في ذكرى وفاته"، مقالة على الإنترنت.

قال فيه تلميذه وليد الأعظمي الذي رباه الشيخ الصواف وصنعه شاعراً موهوباً وداعية دؤوبا
ولقبه بشاعر الإسلام في العراق، قال فيه الأعظمي يرحمه الله والذي توفي بعد احتلال بغداد الأخير من
قبل الولايات المتحدة وحلفائها:

يا مالئ الوادي هدىً وشعاعاً	أكبرت يومك أن يكون وداعاً
لولاك كادوا يذهبون ضياعاً	يا باعثاً هم الشباب إلى العلى
سعيًا ليدهم للفساد قلاعاً	يا داعياً لله أفنى عمره
أفكارهم كي يبُدعوا إبداعاً	ومريباً للناشئين موجّهاً
تتجاوز الأقطار والأصقاعاً	جاهدت في عَرْض البلاد وطولها
تمضي وترفع للنجاة شرعاً	قد كنت رُبَّان السفينة عندنا
خطبٌ ولا تتجاوز المذيعاً	والقادة العظماء كل جهادهم
ملاً الوهاد هديره دَفَاعاً	وإذا حَظَبتْ فأنت سيلٌ دافقُ
وكشفت عن تلك الوجوه قناعاً	وصدعت بالحق الصَّراح ولم تَلن
يسعى ليملك منصباً وضياعاً	وملكت أفئدة الرجال وغيركم
ما كان سعيك في الجهاد مضاعاً	أنا من ثمارك شاكرٌ لك شاهدٌ

المحور الثاني: تفسير الشيخ الصواف:

المبحث الأول: التعريف بالتفسير، تاريخ وبيان:

لقد شبَّ حب القرآن ودعوته في قلب الصواف مبكراً مذ كان طفلاً يتنقل بين حلقات مساجد
الموصل لحفظ القرآن وسماع دروس العلماء، ثم تخرج من المدرسة الفيصلية الدينية التي درس فيها على
كبار علماء عصره في الموصل كما ذكرنا، ثم توجه إلى الجامعة الأزهرية العريقة التي احتضنته وكرّمته لتفوّقه
حيث درس ما يفترض أن يكون منهجاً دراسياً لفترة ست سنوات في ثلاث سنوات فقط، بدراسة مكثفة
اختصر بها مدة الدراسة وحصل على العالمية الأزهرية في الشريعة، وعندما عاد إلى العراق انضم للتدريس
في كلية الشريعة. ولما شاع اسمه في الوسط المحلي طلبته الإذاعة العراقية لإلقاء حديث ديني صباح كل يوم
واختار له عنواناً باسم "مائدة القرآن" والذي استمر عدة سنوات، وعندما اضطر للخروج من العراق
بسبب الأحوال السياسية التي هددت حياته، استقر به الحال بمكة المكرمة أستاذاً بكلية الشريعة عام
١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.

وفي هذا الوقت اتصلت به الإذاعة السعودية بجدة واتفقت معه على إلقاء حديث يومي فاخترت الحديث بعنوان "دروس من كتاب الله" واستمر في ذلك عدة سنوات أيضاً^(٤١)، وعن سبب اختياره أن يكون حديثه الإذاعي في تفسير القرآن يقول: "بدأت بالقرآن العظيم الحبيب إلى قلبي وسمعي وبصري، وهو نور الله بيننا وصراطه المستقيم، وهو المصدر الأول والمنبع الصافي لدعوة الإسلام، والمعلمون لكلام الله هم حملة القرآن، وهم المتلبسون بنور الله، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيها رواه الحاكم في المستدرک: "حملة القرآن هم المعلمون لكلام الله المتلبسون بنور الله، من والاهم والاه الله، ومن عاداهم عاداه الله"^(٤٢).

دواعي اختيار تفسير الفاتحة وجزء عم:

لقد درج العلماء على اختيارات تفسيرية بحسب الدوافع والأهداف التي يتوخونها، والأستاذ الصواف بيّن لنا ذلك في مقدمة تفسيره بأنه بدأ بفاتحة القرآن لأنها أم الكتاب وأم القرآن والشفافية والواقعية والكافية، وهي ورد المسلم اليومي والتي يقرأها في كل صلوة ولا تصلح صلوته بدونها، فالمسلم يتلو الفاتحة في صلوته من فرائض ونوافل، وتحتوي مائة وثلاثين حرفاً في خمس وعشرين كلمة^(٤٣). فالمقصد من اختيار سورة الفاتحة تعليمي تربوي ينطلق فيه الأستاذ الصواف لترسيخ المفاهيم الإسلامية من خلال حركة الفرد اليومية وما يؤديه من صلوات ليتسنى له تحقيق مقصد شرعي في الصلاة ألا وهو الخشوع الذي يرافق التدبر عند القراءة في الصلاة، وهذا مما يرسخ الإيمان ويجعل المصلي يعيش مع أسرار الفاتحة وأنوارها وآثارها على النفس والجوارح، فضلاً عن أنها تشتمل على أهم مقاصد القرآن ومطالبه، وأهمها^(٤٤):

١ - التعريف بالله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته وإثبات وحدانيته.

٢ - إثبات اليوم الآخر، والحساب والجزاء والحكم بين الناس.

٤١ - انظر: محمد محمود الصواف، مقدمة تفسير فاتحة القرآن وجزء عم الخاتم للقرآن: تفسير وبيان، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م، ط ٨، ١٠، ١١. وانظر: محمد محمود الصواف، من سجل ذكرياتي، ص ٣٥، ٤١، ٩١.

٤٢ - انظر: محمد محمود الصواف، فاتحة القرآن وجزء عم الخاتم للقرآن: تفسير وبيان، ص ١٠، ١١.

٤٣ - محمد محمود الصواف، فاتحة القرآن وجزء عم الخاتم للقرآن، ص ٨، ٩.

٤٤ - انظر: المصدر نفسه: ص ٣٠.

- ٣- أفراد العبادة لرب العباد فلا معبود سواه ولا مستعان إلا به.
- ٤- أنه لا هادي إلا الله لذا خص طلب الهداية منه.
- ٥- أثبتت السورة النبوات فهو رب العالمين سبحانه لن يترك عباده سدىً وأن من مقتضيات ربوبيته إرسال الرسل لتربية أقوامهم. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْل لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.
- ٦- بيّنت لنا أبناء السابقين من طبقة السعداء الذين أنعم عليهم ربهم وطبقة المطرودين من المغضوب عليهم والضالين.
- فإذا أحاط المسلم بهذه المعاني من خلال تلاوته اليومية لسورة الفاتحة فإنها سترسخ الإيمان والعمل وتحقق التدبر الواعي الخاشع وتعزز الأخوة بين المسلمين وقوة ترابطهم.
- ولماذا جزء عمّ؟:

ونفس المقصد الذي دفع بالشيخ الصوف لتفسير سورة الفاتحة هو الذي جعله يقدم على تفسير جزء عمّ لأن أغلب المسلمين يحفظون هذا الجزء المهم والذي يتضمن قصار السور التي يقرأ الناس بها في صلواتهم، وبالتالي فهم بحاجة ماسة إلى معرفة معانيها وأسرارها^(٤٥). ولكي يتحقق هذا المقصد التربوي الدعوي في ربط المسلمين بالقرآن فهم بحاجة إلى تفسير سهل العبارة ثريّ العاطفة واضح المعنى، وهذا المقصد الدعوي دفع الأستاذ الصوف إلى ربط كل المسلمين بالقرآن بغض النظر عن مستوياتهم الثقافية لأنه دستور وحدتهم وكتاب عبادتهم وقانون حياتهم، وجزء عمّ قد احتوى على قضايا الإيمان، والأخلاق وتمحيص العبودية والولاء لله وحده^(٤٦).

كما أن الشيخ الصوف كشف عن المناسبة المعجزة بين أول القرآن وآخره من خلال المناسبة بين سورة الفاتحة والناس، فالمسلم يدخل جنة القرآن وبحره المحيط "بالحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم....، فإذا انتهى من رحلته المباركة، استعاذ برب الناس، وملك الناس، ومالك يوم الدين". هذه المعاني استحضرها الشيخ الصوف الذي أمضى ثلاثين سنة في استنباط هذه الدروس من كتاب الله، ووقفه الله تعالى إلى ذلك في عام ١٤١٣هـ - ١٩٨٥م حيث يقول الشيخ^(٤٧): "أحمد ربي العلي الكبير

٤٥- محمد محمود الصوف، فاتحة القرآن وجزء عمّ الخاتم للقرآن، ص ٩.

٤٦- المصدر نفسه.

٤٧- المصدر نفسه: ص ٥٩٥.

الذي مدّ في الأجل، وأصلح العمل، وأسكنني أهبى وأشرف محل (مكة المكرمة) ووفقني لإتمام هذا التفسير وطبعه ونشره، والذي بدأته قبل ثلاثين سنة في بغداد والموصل، ثم أتمته في مكة والمدينة والطائف، وها أنا ذا أطبعه في جدة".

المبحث الثاني: المدرسة والمنهج:

مدخل:

على ضوء التحولات الفكرية والسياسية في العالم الإسلامي التي انتقلت من الدولة الواحدة إلى الدويلات المتفرقة ومن النظام الاجتماعي الإسلامي إلى النظام الاجتماعي العلماني ومن الوحدة الإسلامية إلى التشتت القومي، بعد أن تقاسمت القوى الكبرى تركة الرجل الذي أمرضوه وليس المريض كما أشيع، هيمنت روسيا على أراضي المسلمين، واقتسمت بريطانيا وفرنسا والبرتغال وإيطاليا وهولندا بقية العالم الإسلامي باسم الاستعمار المصطلح المفرغ من معناه، والذي كان استدمارا، وقد وضعت خلال فترة الاستدمار هذا وإثره رؤية معرفية جديدة قائمة على إنكار التعاليم الدينية في توجيه المجتمع، وفصل ما بين الدين والحياة، مع الفارق بين المصدرية الكنيسة للمعرفة والمصدرية الإسلامية التي لا تضي على الاجتهادات صفة الوحي وإنما هي اجتهادات بشرية قابلة للمناقشة والرد أو القبول، فضلا عن أن الإسلام يطلق حرية التفكير والاكتشاف والاختراع، بل أن النهضة الأوروبية قامت على تراث علمائنا العلمي، بينما الكنيسة كانت تنكر دوران الشمس وتجعل ذلك وحيا وتقتل من يقول بغير ذلك، مقابل ما جاء في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٤٨)، وانتقل ذلك التصور العلماني إلى العالم الإسلامي بحذافيره وصيغت مناهج العلوم الإنسانية وغيرها على هذه الرؤية العقائدية الانفصامية، ظنا من "التنويريين" كما سموها، بأنه وبالأخذ بهذه التصورات سيلحقون بثقافة العصر وينالون التقدم في كل مجالات الحياة، كما قال طه حسين في كتابه مستقبل الثقافة في مصر: "إذا أردنا التقدم فعلينا أن نأخذ بحضارة الغرب خيرها وشرها وحلوها ومرها وغشها وسمينها".

هذا الانقلاب على كل ما وصف بالموروث لأمتنا كان من الأسباب التي دفعت لظهور "المدرسة الدعوية" بعد أربع سنوات من إسقاط الدولة العثمانية في العقد الثالث من القرن العشرين، لإعادة تشكيل العقل المسلم وتربية الفرد والأسرة والمجتمع، وذلك من خلال مشروع نهضوي جديد

يجمع بين الأصالة والتجديد، وينطلق من المصدرية الشرعية المتمثلة بالكتاب والسنة ثم مصادر التراث الإسلامي الأخرى.

أولاً: مدرسة الشيخ الصواف التفسيرية:

ينتمي الشيخ الصواف إلى المدرسة الدعوية الحركية وهي المدرسة التي تركز على التربية والتزكية والمجاهدة ودعوة المسلمين إلى الالتزام بهدي القرآن الذي أنزله الله تعالى ليكون منهج حياة المسلمين بخاصة والبشرية عامة (٤٩) قال تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ (٥٠). ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾. وقد بين الشيخ الصواف ملامح مدرسته هذه في مقدمة تفسيره بقوله: "بدأت في تأليفه - التفسير - منذ أول عهدي بالعمل لدعوة الإسلام التي وهبتها حياتي وروحي، بل هي أعلى عندي من دمي ومالي وأهلي وأولادي" (٥١). ويقول بأنه بعد أن أنهى دراسته الأزهرية ورجع إلى العراق ليعمل في كلية الشريعة بأعظمية الإمام أبي حنيفة النعمان، بدأ في "خدمة الدعوة الإسلامية المباركة التي تقوم أول ما تقوم على التربية الإسلامية الصادقة، والتوجيه السليم في بناء الرجال وإعداد الأجيال لحمل دعوة الإسلام" (٥٢).

ويصف تفسيره بأنه: "تفسير دعوة وإرشاد وبيان حكمة وسداد... وحاولت جهدي أن أدفع الشباب من أمتنا الإسلامية إلى سلوك سبيل هذه الدعوة المباركة" (٥٣) ولما كان الداعية الشاب يحتاج إلى ثقافة تفسيرية يستطيع بواسطتها مخاطبة المدعوين، فقد حرص الشيخ الصواف على أن يقدم بين أيديهم تفسيراً (٥٤) في "أسلوب سهل ميسر مبسط ليضع الشباب أيديهم على كنوز لا تفنى ومعانٍ لا تبلى، بل لا تقتضي عجائبها من كتاب ربه العظيم" (٥٥). ويضع لنا الشيخ الصواف إطاراً قرآنيًا لهذه المدرسة الدعوية وكتب رسالة في ذلك بعنوان: من القرآن.. وإلى القرآن: الدعوة والدعاة، يقول فيها (٥٦): "إننا

٤٩- انظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمنهج المفسرين، دار القلم، دمشق، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ط ١، ص ٥٦٨.

٥٠- سورة آل عمران، آية: ١٣٨.

٥١- الشيخ محمد محمود الصواف، التفسير، ص ٧.

٥٢- المصدر نفسه: ٧.

٥٣- المصدر نفسه: ١١.

٥٤- انظر المصدر نفسه: ١١.

٥٥- انظر المصدر نفسه: ١١.

وكتب رسالة في ذلك بعنوان: من القرآن.. إلى القرآن: الدعوة والدعاة، يقول فيها^(٥٦): "إننا معاشر المسلمين عامة والدعاة بخاصة:

- ١- من القرآن نستمد الدعوة والنور والهداية.
- ٢- ومن القرآن نستمد المنهج ونسلك سبيل الدعوة والأئمة من الأنبياء والمرسلين.
- ٣- ومن القرآن نتعلم أساليب الحكمة والتنويع في الدعوة.
- ٤- ومن القرآن نلتهمس الشفاء، شفاء الروح من الغفلة"^(٥٧).

قال تعالى: ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٥٨)، والشيخ الصواف أحد تلاميذ الشيخ حسن البنا ورمز من رموز حركته الإصلاحية وأحد رجالها المعروفين، ولهذا فهو ينطلق من نفس المنطلقات التي وضعها الإصلاحيون الإسلاميون من مطلع القرن العشرين في مختلف بقاع العالم الإسلامي لمشاريعهم الدعوية التي تستهدف إعادة صياغة الواقع الإسلامي صياغة جديدة بعد أن فشل المنهج العلماني الذي رفع رايته من وصفوا بالتنويريين الجدد في صياغة الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية للعالم الإسلامي والمنطقة العربية على وجه الخصوص، وقد عبرت عنها كلمة وليم إيوارت غلادستون رئيس وزراء بريطانيا ١٨٩٨ م عندما وقف في البرلمان البريطاني وهو يحمل المصحف بيده مخاطباً: "مادام هذا القرآن موجودا في يد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم فيما نأخذه من يد المسلمين أو أن تقطع صلتهم به"^(٥٩).

ولم تغب عن الشيخ الصواف منهجية الإصلاح المنطلقة من مدرسته الدعوية التي تدرك أبعاد المعركة المعلنة والتي كان مؤسسها ينادي قائلاً: "لا دستور لنا إلا القرآن الذي لم ينزل من علياء السماء على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون تيممة يحتجب بها، أو أوراذاً تقرأ على المقابر وفي المآتم، أو ليكتب في السطور ويحفظ في الصدور، أو ليحمل أوراقتاً ويحمل أخلاقاً، أو ليحفظ كلاماً ويهجر أحكاماً؟! وإنما نزل

٥٦- الشيخ الصواف، من القرآن.. إلى القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ط ١، ص ٦.

٥٧- المصدر نفسه: ص ٧.

٥٨- سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

٥٩- Maryam Jamilah, Badiuzzaman Sa'id Nursi, le sauvenrde Islam en Turkey: 7

وانظر: ليث سعود جاسم، الإمام النورسي والتعامل الدعوي مع القوميات، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٤م، ط ١، ص ٥٣.

ليهدي البشرية إلى السعادة والخير، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضًا وَوَأَنَّهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٦٠).

ويضيف حسن البنّا بقوله: "أليس من العيب أيها المسلمون أن ترضوا بأحكام الإفرنج ولا ترضوا بحكم الله مع أن الله قد وصم كل أمة لا تحكم بأحكام كتابه بالفسق بل وصفها بالظلم، وأن مثلكم أيها المسلمون عندما تركتم كتاب الله وراءكم كمثّل الرجل الذي بيده المصباح فيأبى إلا أن يطفئه ويلتمس غيره عند العميان.. وأن العالم الآن قد غشيه موجة مادية فجعلته كسفينة حاررّانها وأتت عليها العواصف من كل جانب، والإنسانية قلقة معذبة في حاجة إلى عذبٍ من هدي القرآن يغسل عنها أوصار الشقاء ويأخذ بها إلى السعادة"، فقد أدرك البنّا أهمية إعادة تقديم العلوم الشرعية بمنهجية جديدة بعد أن انزلت عن واقع المجتمع بحلول المنهجيات الدخيلة، وكان ضمن المنهج التجديدي لحسن البنّا الذي تأثر به الصوفا المنهجية التي سيكتب بها التفسير، والتي يقول عنها في مقال له في عقد الثلاثينات من القرن الماضي (٦١):

١- إن لكل عصر طريقة في الكتابة تتناسب مع أسلوب أهله في الفهم وطرقهم في الدراسة ولا بد من التجديد تبعًا لتجدد عقول الناس وتغير طرق البحث والتفكير والاستنباط، ولهذا كان لمؤلفات كل عصر من العصور الإسلامية السابقة طابع خاص يمتاز به.

٢- "إن عصرنا عصر نهضة في التأليف والعلوم والمعارف ومع ما بدأ فيه من توجه الهمم إلى الترتيب والتهذيب والتسهيل والتعريب لم تظفر فيه العلوم الدينية بشيء من همم المؤلفين وجهود المصنفين فظللنا مع الكتب الدينية حيث كنا، عمادنا كتب من قبلنا، ولم نخدم نحن عصرنا بشيء، فلا زلنا إلى الآن عالة على من سبقنا ولهذا كانت فائدتنا من العلوم الدينية قليلة، لأن طريقة تأليف تلك الكتب وترتيبها ووضعها لا يتفق مع طرق الدراسة الحديثة" (٦٢).

٦٠- القاهرة في عام ١٩٣٧م في مسجد دانيال في الإسكندرية. انظر: عباس السيسي، حسن البنّا مواقف في الدعوة والترقية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ص ٦١-٦٣.

٦١- انظر: عصام تليمة، نظرات في كتاب الله: للإمام الشهيد حسن البنّا، جمعه وحققه وعلق عليه عصام تليمة، دار النشر والتوزيع الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ط ١، ص ٦٣-٦٥، وهذا المقال نشر في العدد الأول لجريدة الإخوان المسلمين في يوم الخميس ٢ صفر ١٣٥٢هـ الموافق ١٩٣٣م.

٦٢- عصام تليمة: نظرات في كتاب الله، ص ٦٤.

ويتجلى ذلك في مواضع منها(٦٣):

- صعوبة التعرف على حكم مسألة من مسائل البيع فإنك تستنفد وقتاً كبيراً للوصول إليها، ومن ثم جمع شتاتها.
 - إن بعض أحكام المعاملات الحديثة تخلو منها أمهات كتب الفقه، وواجبنا نحن أن نعالج ما يجدد في عصرنا من المسائل على ضوء القواعد الكلية التي وضعها الأئمة رضوان الله عليهم.
 - الإفاضة في أحكام لا وجود لها الآن والتمثيل لها كمسائل الرق، والأوزان والمكاييل والمسافات باصطلاحات نحن في حاجة إلى ما يقابلها في عصرنا.
- ثم يعقب ذلك بقوله: "لا أقصد بهذا الطعن في المتقدمين رضوان الله عليهم، كلا!... كلا! فهم، جزاهم الله خيراً، أدوا مهمتهم وقاموا بواجبهم لعصورهم وألّفوا كما تحب العقول التي عاشوا معها، وخلقوا لنا هذا الميراث الغني الخصب الفياض بالعلم، الزاخر بالأحكام ولكنني أقصد أن أستحث همم علمائنا المعاصرين حتى يخدموا دينهم في عصرهم ويؤلفوا للعقول التي يعيشون معها كما كان أسلافهم"، وكما قال ذلك الفلاح الشيخ: "قد غرس من قبلنا فأكلنا ونغرس نحن ليأكل من بعدنا"(٦٤)، "لا أريد أن نكون حلقة غفلاً مجهولة في سلسلة العصور العلمية الإسلامية يصفنا أبناؤنا وأحفادنا بالتواكل والتقصير بل أريد أن نكون حلقة قوية تصوغ علوم الأسلاف بالصيغة التي تجذب إليها عقول الأخلاف"(٦٥)، ثم يضيف بقوله: "وليعلم قرائي الكرام أنني أخذت أن أطرق هذا الباب لا أستأثر ببحث ولا أستبد برأي، بل أرجو منهم أن يتكروا بمعاونتي في هذا السيل الشائك حتى نستخلص الحقيقة معاً وليس أحب إلى نفسي من نصيحة صادقة يقدمها إليّ قارئ كريم، أو مشورة مخلصه يتفضل بها عليّ أخ حميم، فأنزل على أحكامها وأخذ بالعمل بها إن شاء الله"(٦٦).

ثانياً: من رواد هذه المدرسة الدعوية:

وقد أنجبت هذه المدرسة رجالاً نقّذوا ما لم يستطع الشيخ البنا تحقيقه من هذا المشروع فكلف بعض تلامذته في حياته واستمر المشروع يحمله أتباع هذه المدرسة ومن وافقهم في هذا الفهم فأنجزت

٦٣- انظر المصدر نفسه: ٦٤، ٦٥.

٦٤- ينسب هذا القول لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٦٥- عصام تليمة: نظرات في كتاب الله، ص ٦٥.

٦٦- المصدر نفسه: ٦٦.

أعمالاً مهمة في الإنتاج العلمي والعمل المؤسسي الرسمي والشعبي، ومن أشهرهم: الشيخ سيد سابق الذي كتب الفقه بطريقة مبتكرة، والشيخ عبد القادر عودة، والشيخ القرضاوي، والشيخ مصطفى السباعي، والشيخ محمد الحامد، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة، والشيخ الصواف، والشيخ بشير الإبراهيمي، والشيخ عبد الكريم زيدان، وغيرهم كثير وفي شتى العلوم، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً.

وأما في الجانب التفسيري وهو مدار هذا البحث فقد أنجبت هذه المدرسة الدعوية:

- ١- الشيخ حسن عبد الرحمن البنّا الساعاتي (ت ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م).
- ٢- الشيخ طنطاوي جوهرى الذي كان يلقّب بحكيم الإسلام وهو ممن درس عليه الشيخ البنّا في دار العلوم والذي اقتنع بمشروع المدرسة الدعوية للإخوان المسلمين فانضم إليهم سنة ١٩٣٣م بعد مناقشة مع الشيخ البنّا فاختر عضواً في مجلس شورى حركة الإخوان المسلمين آنذاك، وكان يكتب باب التفسير العلمي في جريدة الإخوان المسلمين التي ظل يرأس تحريرها حتى قبل وفاته بسنة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.
- ٣- الشيخ الشهيد سيد قطب إبراهيم، صاحب في ظلال القرآن (ت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).
- ٤- الشيخ العلامة أبو الأعلى المودودي من باكستان، صاحب تفهيم القرآن، (ت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).
- ٥- الشيخ مصطفى الحديدي الطير، وكان وكيل الشيخ البنّا في قيادة الجماعة وهو الذي ناب عنه في كتابة الصفحة الدينية للجريدة وكان أستاذاً في قسم التفسير، وقد حضرت شخصياً مجلسه في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر سنة ١٩٧٥م وكان في ذلك الوقت في السبعين من عمره.
- ٦- الشيخ سعيد حوى من سوريا (ت ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).
- ٧- الشيخ محمد محمود الصواف (ت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).
- ٨- الشيخ عبد المتعال الجبري.
- ٩- الشيخ محمد الغزالي (ت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).
- ١٠- الشيخ محمد عبد الحميد كشك الخطيب المعروف والذي سجن مع الإخوان (ت ١٩٩٦م).
- ١١- الحاجّة زينب الغزالي وهي من طلائع العمل النسائي في مصر وكانت مع هدى شعراوي (ت ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

- ١٢- الدكتور عدنان زرزور، أستاذ التفسير بكلية الشريعة بجامعة قطر.
- ١٣- الدكتور محمد فتح الله السعيد، أستاذ التفسير بجامعة الأزهر كلية أصول الدين قسم التفسير.
- ١٤- الدكتور محسن عبد الحميد، أستاذ التفسير بكلية التربية، بجامعة بغداد وغيرهم.

ثالثاً: منهج الشيخ الصواف في تفسيره:

إن مقدمة أيّ تفسير هي مفتاح لبيان منهجية المفسر لأنه يشير لا شك في مقدمته إلى أهداف تأليفه وخصائص تفسيره ولكن بعض المفسرين قد لا يشارون إلى ذلك بتفصيل، مما يتطلب قراءة التفسير وتدبره واقتناص منهجه من بين سطور، وهذا يشكل صعوبة في تحديد ما كان يجول في خاطر المفسر وهو يخط صفحات تفسيره من وجه، ولكنه من وجه آخر ينمي القدرة على التعمق في التحليل والاستنباط. والشيخ الصواف في منهجه واضح، فقد بيّن في مقدمته سبب اقتصاره في التفسير على الفاتحة وجزء عمّ الهدف من ذلك، وسنوجزه بالنقاط الآتية:

١- بين الشيخ الصواف سبب اختياره:

وذلك لأن الناس يتعاملون تعاملًا يوميًا مع هذه السور. "فالفاتحة يقرأها - المسلم - في كل صلوة ولا تصح صلوته بدونها، وهي حبيبة إلى قلبي وقلب كل مؤمن، والمسلمون في أمس الحاجة إلى معرفة أسرارها وأنوارها وآثارها ومعانيها السامية العالية"^(٦٧). وكذلك بالنسبة لجزء عمّ "إذ أن المسلمين يحفظون هذا الجزء المهم أو القسم الأكبر منه، وفيه قصار السور التي يقرؤون بها في صلواتهم، وهم في أمس الحاجة إلى معرفة معانيها وأسرارها واضحة بينة"^(٦٨)، كما أن سورة أغلبها مكية تتعلق بترسيخ العقيدة والأخلاق الإسلامية، وبيان الأساليب الدعوية.

٢- العلاقة بين فاتحة القرآن وجزئه الأخير:

فقد سعى الشيخ الصواف لتبيين نقطة مهمة تتعلق بترتيب السور، "ليتصل آخر الكتاب الكريم بأوله، وليتجلى بذلك إعجاز النظم القرآني، والترابط والتناسق بين أول آيات القرآن وآخرها من خلال الفاتحة وسورة الناس، وليتبين" أن ما بين دفتي المصحف الشريف يرتبط آخره بأوله، ويمتزج أوله بآخره، فالمالك واحد والرب واحد والإله واحد والمعبود واحد والمستعان واحد والدّيان واحد

٦٧- الشيخ محمد محمود الصواف، فاتحة القرآن وجزء عمّ الخاتم للقرآن، ص ٨.

٦٨- المصدر نفسه: ٩.

وإله الناس واحد.. والكتاب الذي أنزله واحد، وما بين دفتيه شيء واحد يرتبط به كل حرف فيه بالذي قبله ارتباط الروح بالجسد وأنه كالعقد المنضد ترتبط كل كلمة منه بالتي قبلها والتي بعدها ارتباط اليد بمعصمها" (٦٩).

الآيات في سورة فاتحة الكتاب بينها وبين آيات خاتمة الكتاب (سورة الناس) تماثل وتناسب وترابط، كحلقة موصولة الأطراف، فسورة الفاتحة تبدأ بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وسؤال الهداية والرعاية (٧٠) وسورة الناس تبدأ بالاستعاذة "برب الناس" من وسوسة الشيطان وصدده بعد الهداية، وسورة الفاتحة فيها ﴿ملك يوم الدين﴾ مالك الناس يوم الدين، وسورة الناس فيها ﴿ملك الناس﴾ مالك الناس في الدنيا، وفي سورة الفاتحة الاستعاذة به عز وجل وحصرها بذاته الشرعية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وفي سورة الناس الاستعاذة بالله والالتجاء إليه وحده ﴿... أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ وهذا يشير إلى أن ملاك الأمر في هذا الدين هو التوجه إلى الله بتوحيده في ربوبيته وألوهيته وفي أسمائه وصفاته، والإخلاص إليه في القول والعلم، والانتفاء إليه والاستعاذة به والتوكل عليه والاعتصام به. وهذه الالتفاتة الموقفة من الشيخ الصواف فتح من الله عليه فيها.

٣- الدعوة إلى إصلاح المجتمع الإسلامي بل البشري بالرجوع إلى المنهج القرآني:

المنهج القرآني هو الذي صلحت به البشرية من خلال المشروع الإصلاحية للفرد والمجتمع وهذا هو المنهج الذي طرحته المدرسة الدعوية بعد إسقاط الخلافة العثمانية، فالتخلف الفكري والنهضوي الذي نحن نعانيه في عموم بلاد المسلمين ليس بسبب ديننا بل هو نتيجة المنهج المعرفي الحديث الذي جاء مع الاستعمار والذي توخى صياغة أخرى للشخصية في مجتمعاتنا كما ذكرنا بمنهج مغاير لمنهج هذا القرآن الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

وقد هب المصلحون لمعالجة الأمر فكان هناك علماء الأزهر وعلماء العراق وعلماء الشام والهند وعلماء الملايا والشرق الأقصى وإفريقية يصلحون المشاكل التي تولدت في المجتمع المسلم نتيجة التحديث، وعن هذا يقول الشيخ الصواف: "لقد استهدفت في هذا التفسير لهذا الجزء من كتاب الله العزيز تجلية هدايات ومناورات القرآن، وتعاليم القرآن وحكمة الله فيما شرع لعباده في هذا القرآن العظيم من منهج

٦٩- المصدر نفسه: ٩، ٥٨٥.

٧٠- المصدر نفسه: ١، ٥٨٦.

سليم ودستور حكيم وصراط مستقيم وضع الله لهم فيه مناهج بيضاء ناصعة ليلها كنهارها وقواعد ثابتة صادقة عامة شاملة تضمن لهم السعادة والعزة والكرامة كما تضمن لهم الاستخلاف في الأرض وسيادة مبادئهم ودينهم مع الاستقرار والازدهار".

ويصف الصوف نظراته في كتاب الله بقوله: "فهو تفسير دعوة وإرشاد وبيان حكمة وسداد.. ركزت فيه على الدعوة الإسلامية، وحاولت جهدي أن أدفع الشباب من أمتنا الإسلامية إلى سلوك سبيل الدعوة الربانية المباركة وأن أضع بين أيديهم نماذج من هذا الجزء العظيم الخاتم للقرآن".

٤- ومن منهجه بيان معانيه السامية في أسلوب ميسر مبسط:

"يضع الشباب أيديهم على كنوز لا تفتنى ومعانٍ لا تبلى ولا تنقضي عجائبها من كتاب ربهم العظيم الذي ربك الله فيه عزهم ومجدهم وسيادتهم على الأرض".

٥- ثم استخدامه المنهج الشامل في التفسير:

حيث اتبع عدة مناهج مثل: التفسير بالمأثور^(٧١) حيث فسر القرآن بالقرآن^(٧٢) وبالحدِيث النبوي^(٧٣)، ثم إيراد أقوال الصحابة^(٧٤) والتابعين^(٧٥)، واستخدم التفسير العلمي^(٧٦) والتفسير الموضوعي^(٧٧) واللغوي^(٧٨).

٧١- وهو التفسير الذي يذكر الآيات التي يفسر بعضها بعضاً في الموضوع الواحد، وقد فرّق بعض المتخصصين بينه وبين التفسير بالمأثور. وانظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص ١٤٨، وعرف بأنه "الذي يعتمد على صحيح المقول من تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة لأنها جاءت مبيّنة لكتاب الله، أو ما روي عن الصحابة والتابعين". انظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ط ٣٥، ص ٣١٨.

٧٢- انظر محمد محمود الصواف: التفسير، ١٤-١٧، ٣٥، ٤٧، ٦٠، ٦٦، ٧٦، ١١٠، ١٧٤.

٧٣- المصدر نفسه: ١٤-١٧، ٢٩، ٣١، ٣٨، ٩٣، ٩٨، ١٠٣، ١١٤، ١٣٣، ١٣٧، ١٦٤، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤٨.

٧٤- المصدر نفسه: ٢٩، ٣٧، ٣٩، ٧١، ٨٤، ٩٠، ٩٤، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٩، ١٣٥، ١٣٧، ١٥٠، ١٥١.

٧٥- المصدر نفسه: ٢٩، ٤٣، ٤٨، ٦٦، ٨٠، ٨٥، ٩٩، ١٠٠، ١١٩، ١٣٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٦.

٧٦- المصدر نفسه: ٧٣، ١٢٧، ١٣٠، ١٥٧، ٢١٤، ٢٥٢، ٢٨٧، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٩.

٧٧- المصدر نفسه: ٤٧٤-٥٤١ وتتضمن السور: العصر، الهزلة، الفيل، قريش، الماعون، الكوثر، و٥٧١-٥٩٤ وتتضمن سورة الفلق وسورة الناس حيث يقسم السورة مستنبطاً من موضوع السورة كما سنبين ذلك في المبحث القادم.

٧٨- المصدر نفسه: ٣٢، ٣٥، ٤١، ٦٥، ٧٦، ٨٠، ٩٠، ٩٢، ٩٧، ٩٩، ١٠١، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٢، ١٩١، ٢٨٧، ٢٨٧.

٦- وغلب على تفسيره استخدام علم المناسبات (٧٩):

ليربط أول القرآن بآخره من خلال سورة الفاتحة وسورة الناس، واستخدم المناسبة بين سور جزء عمّ جميعها.

٧- وحل المفردات اللغوية والتراكيب حلاً مجملاً (٨٠):

واللغة التي هي الآلة الرئيسية التي يعبر من خلالها المفسر عن المعاني المناسبة في تفسير الآيات الكريمة ومخاطبة الجوانب الجمالية والذوقية، وقد اعتمد الشيخ الصواف على كتب اللغة والمعاجم وقد دأب الشيخ على مبدأ التعريف بالكلمات الصعبة، وبيان معاني المهم من الألفاظ وتبسيطها بأسهل العبارات. فضلاً عن الإشارات إلى النكت البلاغية التي تكشف جمال الإعجاز اللغوي في خصائص التعبير القرآني. فتمكّن المفسر من علم النحو بُعد آخر في البناء العلمي للمفسر ليستطيع أن يفهم الأساليب النحوية، ومن ثم يستطيع تحليل اللغة القرآنية لإبراز عظمة هذه اللغة التي اختارها الله لكتابه والتي جعلت الوليد بن المغيرة القرشي الأصيل - بعد استماعه للقرآن - يقول: والله إنه مثل كلامنا ولكنه ليس ككلامنا..؟!، وقد وفق الشيخ في توظيف المصادر المعتبرة في ذلك فضلاً عن نظراته الخاصة التي تسهل تناولها من كل مستويات القراء.

٨- استشهاداً بالشعر (٨١):

لإعطاء القارئ مادة متنوعة في تفسير القرآن، فالشعر إما يكون شاهداً للمعنى، أو تأكيداً لرأى،

٧٩- المصدر نفسه: ٩-١٠، ٥٨٥. "وهو علم يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء"، الزركشي، البرهان، ١/٧. ويقول القاضي ابن العربي: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منظمة المباني" أورده الزركشي في البرهان: ١/٣٦.

٨٠- الشيخ الصواف: التفسير: ٣٢، ٣٥، ٤١، ٦٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٩٠، ٩٤، ٩٧، ٩٩، ١١٠، ١١٤، ١٢١، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٤، ١٥٢، ١٨١، ١٨٢، ١٨٦، ٢٨٩، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣١٥، ٣٣٦، ٣٧٤، ٣٩٢، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٣٠، ٤٣٥، ٤٤٨، ٤٥٤، ٤٩١، ٤٩٩، ٥٠٦، ٥٠٩، ٥٣٠.

٨١- المصدر نفسه: ٤١، ٤٨، ٥٤، ٦٦، ٨١، ٩٥، ٩٨، ١٠١، ١٠٥، ١٠٦، ١١٣، ١٢٨، ١٣٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٤، ١٥٥، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٨، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٥٨، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٦٠، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨٦، ٣٩٠، ٣٩٢، ٤٠١، ٤٠٩، ٤٤١، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٤، ٤٥٨، ٤٦٣، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩٩، ٥٠٢، ٥٠٥، ٥٠٩، ٥١١، ٥١٩، ٥٣٠، ٥٤٧، ٥٥٠، ٥٥٩، ٥٧٥.

أو ترويحاً بأبيات يمج بها النفس، أو إثارة حماسية مطلوبة في تثبيت معنى في قلب القارئ، وقد طوف الشيخ الصواف بين دواوين الشعر وكتب الأدب في الجاهلية والإسلام للاستشهاد بها في مواطنها المناسبة بل استشهد بالشعر المعاصر ليكون أقرب للقلب وأشد تأثيراً على النفس، وكان ينسب الشعر إلى قائله، وأحياناً يسنده بقوله: "قال الشاعر"، وأحياناً يحيل إلى مصادر، وأخرى يعتمد الشيخ على حفظه للشعر.

٩ - معالجة قضايا ومجالات الدعوة الإسلامية:

ونختار مثالا على ذلك عندما تكلم الشيخ الصواف في موضوعات دعوية متعددة من خلال التفسير لسورة العصر ما عدا الموضوعات التي طرحها في ثانيا التفسير، وأهم القضايا التي تناوها:

* أن الدعوة تدخل في باب العمل الصالح ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: والصالحات لفظ عام شامل يحتوي على كل أعمال البرِّ قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، والصالحات كل شيء تصلح به نفسك وأهلك وجارك والناس أجمعين هو عمل صالح.. والإصلاح بين الناس وجمع كلمة المسلمين والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة هو عمل صالح وهو منحة ربانية من الله.

* العمل الدعوي واجب شرعي: يقول الشيخ الصواف: "فشرط النجاة من الخسران جعله الله معلقاً بمعرفة الناس بالحق وأن يبشروا به ويدعوا الناس إليه.. فالدعوة إلى الحق والتبشير به فرع من الإيمان بالحق ومعرفة الحق ولا يتم الأصل بدون هذا الفرع الذي هو الدعوة إلى الحق" وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" كما تقول القاعدة الفقهية، فإذا أصلح الإنسان نفسه وجب عليه إصلاح غيره والدعوة إلى الإصلاح تشمل الناس جميعاً ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾: أي تواصلوا بالدعوة إلى الحق. والحق هو الشيء الثابت الذي فيه خير المجتمع وراحة الجميع، وكل ما أمر به الإسلام حق تجب العناية به والرعاية له، ولما كان الحق مرآة على بعض النفوس ولا يستسيغه الناس بسهولة أمرنا الله بالتواصي بالحق وكما يجب عليك وصية غيرك بالحق يجب ذلك على غيرك نحوك، وكما أمر القرآن بالدعوة إلى الحق فكذلك أمرت به السنة المطهرة ففي حديث عباد بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن نقول الحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم" رواه الإمام أحمد في المسند والحاكم في المستدرک والبيهقي في شعب الإيمان.

* وسائل تبليغ الدعوة وطرقها، وقد أشار الشيخ في مباحث تفسيره إلى وسائل الدعوة ومنها:

١ - اللين في القول: من خلال قصة موسى عليه السلام في سورة طه يقول تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ حيث أمر الله تعالى موسى وهارون بالتلطف واللين في القول والحكمة في الدعوة إلى الحق وتذكير قلب هذا الطاغية الأثيم لعله يرجع عن غيِّه، فيطلب الله عزَّ وجل إلى موسى في هذه المناجاة أن يلين له في القول ليكون أنجح في الدعوة وهي سبيل الدعاة الهادين المهديين.

٢ - التدرج في الخطوات^(٨٢): وقد بيّن الشيخ الصواف من خلال قصة موسى في سورة النازعات التدرج في الخطوات في مخاطبة فرعون:

* بدأ بالقول اللين، ثم بالسؤال الذي فيه ترغيب في تركية النفس وسلوك سبل الخير وبخاصة من خلال منصبه، فمن خلاله يستطيع فعل كل أبواب الخير فبذلك يفوز بالقرب من الله في الدنيا والآخرة. ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ فيرزقك معرفته، والخشية ثمرة المعرفة ولكن فرعون وقلبه القاسي وتفكيره المادي صده عن الهداية.

* لذا قدم له العلامة المادية وهي الآية الكبرى ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ وهي العصا التي تحولت إلى أفعى، وعرض عليه المعجزة الأخرى حيث وضع اليد تحت الإبط لتخرج مضيئة ﴿أَصْدُ مِمَّنْ يَدَّكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى﴾^(٨٣)، ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى﴾.

* ثم أسلوب التحدي من خلال ثقافة المحيط فإما أن يكون تحدي الطريقة التي كانت شائعة في زمان فرعون وهي استخدام السحر فكانت آلية التحدي من جنس ثقافة المحيط أو الواقع الذي يعيشه، وأما أن يكون التحدي بالمناظرة الفكرية كما حدث مع الوليد بن المغيرة الذي قرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات في سورة فصلت من بدايتها إلى قوله تعالى: ﴿فَالْإِعْرَاضُ وَاقِلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾^(٨٤) مما جعل الوليد يفِرّ من معجزة القرآن اللغوية التي لم تقف أمامها فصاحة الوليد فرجع معترفاً بفصاحة القرآن وبلاغته ومع ذلك وصف القرآن بالسحر.

* وفي عصرنا الحاضر شهدنا في مناظرات الشيخ أحمد ديدات، رحمه الله، مع المنصرين الجدد الذين

٨٢ - انظر الشيخ الصواف، التفسير، ٩٧، ٩٨.

٨٣ - سورة طه، الآية: ٢٢.

٨٤ - سورة فصلت، الآية: ١٣.

لم يصمدوا في مناظراتهم أمام حججه، فكان مؤسسا لمدرسة دعوية لمواجهة الشبهات والادعاءات والهجمات الفكرية التي تثيرها الحملات التبشيرية من خلال خطابها الديني المباشر أو من خلال عموم وسائل ومضمون ما يغزونا من ثقافة وفكر.

* ثم ذكر الصوف رحمة الله أهمية الصبر على الدعوة ومستلزماتها: ففي سورة العصر جاء الأمر بالصبر بعد الأمر بالحق والتواصي ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾، فيقول الشيخ الصوف: "وكان من لوازم الدعوة إلى الحق أن الأذى يصيب الداعي إلى الحق من قبل أعداء الحق وأنصار الباطل، وإذا انتاب الداعي إلى الحق شيء من الضر فليصبر وليصابر وليحتسب، وليعلم أن العقاب للمتقين وإذا سب أو أذى فليقابل ذلك بالثبات... وخاصة أصحاب الدعوات ورجال الإصلاح لأنهم يتعرضون لما لا يتعرض إليه من غيرهم من أذى كالأفراء والتهم والأباطيل، فعليهم أن يصبروا ويصابروا ولا يلتفتوا إلى الوراء... وليكن شعارهم قول لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ وأن يستيقن الداعية إلى الحق بأن النصر مع الصبر وأن مع العسر يسراً" (٨٥).

رابعاً: مصادر تفسير الشيخ الصوف:

اختيار المصادر هي جزء من المنهج الذي يسلكه المفسر فإذا كان أثراً غلبت في تفسيره المصادر الأثرية من كتب الحديث والأثر وكتب التفسير، ولو كان فقيها غلبت عليه المصادر الفقهية وقس على ذلك، والشيخ الصوف كان يلقي أحاديثه إذاعياً قبل تدوين تفسيره، مما يعني أنه كان قارئاً جيداً فعندما قرر تدوين أحاديثه في كتاب كان يقتضي ذلك توثيق مادته التي كان يلقيها إذاعياً، والأرجح أنه أعاد النظر فيها ورتبها وأضاف إليها لأن المادة التي تعدّ للإلقاء إذاعياً أو تلفزيونياً تكون مختلفة عما يكون في كتاب تفسير وهذا شأن يعلمه كل من قدم مادة إذاعية أو تلفزيونية ثم أعاد ترتيبها في كتاب أو العكس، والناظر في مصادر الشيخ الصوف يجدها مصادر مشهورة ومتنوعة فهي في التفسير والحديث والرقائق والسيرة والأدب ومن شتى الفرق الإسلامية لأهل السنّة والجماعة والشيعية والمعتزلة، ولعل هذا التنوع والاتساع في المصادر والمراجع من خواص مفسري المدرسة الدعوية المعاصرة، وسنرتب هذه المصادر ترتيباً موضوعياً كالآتي:

أولاً: مصادره في علم التفسير وعلوم القرآن:

أ- كتب التفسير وما يتعلق به:

- تفسير الآلوسي، لشهاب الدين الآلوسي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٨٦).
- تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي (٨٧).
- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل (٨٨).
- تفسير الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ) التفسير الكبير (٨٩).
- تفسير رشيد رضا القلموني (ت ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م)، تفسير المنار أو تفسير القرآن الحكيم (٩٠).
- تفسير الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل (٩١) (معتزلي).
- تفسير سيد قطب إبراهيم (ت ١٩٦٦م)، في ظلال القرآن (٩٢).
- تفسير محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)، التحرير والتنوير (٩٣).
- تفسير الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٣٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن (٩٤) (شيعي).

٨٦- انظر: المصدر السابق، ١٥٢، ١٦٢، ١٨١، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤٩، ٤٥٣، ٤٩٣، ٥٢٤.

٨٧- انظر: المصدر السابق، ١١٠، ٣٥٧، ٥١٩.

٨٨- انظر: المصدر السابق، ١١٧، ١٢١، ١٥٣، ٣٧٨.

٨٩- المصدر نفسه: ٣٥، ٧١، ٧٣، ٨١، ٨٢، ٩٠، ٩٩، ١٠٠، ١١٢، ١١٣، ١٣٥، ١٥٦، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٦٧، ٣٨٥، ٢٦٨.

٩٠- المصدر نفسه: ٤٣، ٤٤.

٩١- المصدر نفسه: ٣٩، ٧١، ١٣٤، ٢٣١، ٥٥٠، ٥٥٢، ٥٧٠.

٩٢- المصدر نفسه: ١٢٧، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٧، ١٦٢، ٢٠١، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٦٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٣٢٦، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٤٦، ٣٥٠، ٣٥٦، ٤٠٧، ٤٢٠، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٥٠، ٤٦٣، ٤٦٥.

٩٣- المصدر نفسه: ٣٤٤، ٣٦٠.

٩٤- المصدر نفسه: ٤٠، ٨٤، ٢٦٦، ٢٦٨، ٤٧٤، ٤٩٧، ٥٠٩، ٥١١، ٥٣١، ٥٧٩.

- تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري (ت ٣٠٥هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٩٥).
 - تفسير طنطاوي جوهرى (ت ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م)، تفسير الجوهرى (٩٦).
 - تفسير ابن عباس، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، صحيفة علي بن أبي طلحة (٩٧).
 - تفسير العباسي محمد بن مسعود، تحقيق هاشم المحلاتي (شيعي) (٩٨).
 - تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٩٩).
 - ابن قيم الجوزية، تفسير القيم (١٠٠).
 - تفسير ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم (١٠١).
 - تفسير جزء عمّ محمد عبده (ت ١٩٠٥م) (١٠٢).
- ب - كتب علوم القرآن وما يتعلق بها:
- الانتصاف على الكشاف لأحمد بن المنير الإسكندري (١٠٣).
 - ترتيب السور الكريمة وتناسقها لموسى جار الله (١٠٤).
 - تناسق الدرر في تناسب السور للإمام أبي عبد الرحمن السيوطي (١٠٥).

٩٥-	المصدر نفسه: ١٨، ٣٧، ٤٨، ٧٤، ٨٩، ٩٠، ٩٣، ١٢٦، ١٧٤، ٢٦٢، ٢٦٤، ٥٣٨، ٥٩٣
٩٦-	المصدر نفسه: ٢١٠، ٢١٢، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٩، ٣٤٤، ٣٨١، ٣٦٩
٩٧-	المصدر نفسه: ٥٩٤
٩٨-	المصدر نفسه: ١٨، ١٢٠، ١٢٧، ١٢٨، ١٣١، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٤، ٢٣٧، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٧٦، ٣١٦، ٣٧٨، ٣٧٩، ٤٢٠، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦٥
٩٩-	المصدر نفسه: ٤٩، ٥٥، ٥٧٦، ٥٧٧
١٠٠-	المصدر نفسه: ٢٩، ٣١، ٣٥، ٣٧، ٤٣، ٤٨، ٥٢، ٧٥، ٧٦، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٩٠، ٩٥، ١٠٣، ١١٧، ١٢١، ١٣٦
	١٥١، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٩، ٣٨٧، ٤٢٦
١٠١-	المصدر نفسه: ١١٢، ١٥٤، ١٩٣، ١٩٤، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٣، ٣٨٥، ٣٩٨، ٤٧٠، ٤٩٣، ٥٢٤
١٠٢-	المصدر نفسه: ٢٩، ٩٠، ٩٤، ١٢٩، ١٥٠
١٠٣-	المصدر نفسه: ص ١٤٢
١٠٤-	المصدر نفسه: ٧٩، ١٦٦، ٢١٣، ٢٨٣، ٣٦٠، ٤٧٤، ٥٢٠، ٥٣٢
١٠٥-	المصدر نفسه: ٢٨٣

- الحلية لأبي تميم الأصفهاني (١٠٦).
 - فنون الأفتان للجوزي (١٠٧).
 - معاني القرآن للزجاج (١٠٨).
 - معاني القرآن للفراء (١٠٩).
 - مناهل الفرقان للشيخ محمد الزرقاني (١١٠).
 - نواذر الأصول لابن الأثير (١١١).
- ثانيًا: مصادره في السنة وعلومها:

الجامع المختصر الصحيح للإمام البخاري (١١٢)، الجامع للإمام مسلم القشيري (١١٣)، سنن أبي داود (١١٤)، سنن الترمذي (١١٥)، سنن النسائي (١١٦)، سنن ابن ماجه (١١٧)، سنن البيهقي (١١٨)، سنن ابن حبان (١١٩)، الموطأ للإمام مالك (١٢٠)، المسند لأبي علي الموصلي (١٢١)، المعجم الأوسط للطبراني (١٢٢).

١٠٦-	المصدر نفسه: ٥٤٠.
١٠٧-	المصدر نفسه: ٢٠-٢٢.
١٠٨-	المصدر نفسه: ٥٣٠.
١٠٩-	المصدر نفسه: ١٣٨، ١٦٤، ٢٣٤، ٣٧٢.
١١٠-	المصدر نفسه: ٢٦.
١١١-	المصدر نفسه: ٣٧٥.
١١٢-	المصدر نفسه: ٢٩، ٤٣، ٤٤، ٥٦، ١٣٧، ٢٧٣، ٢٨٤، ٣٥٤، ٤١٧، ٤١٨، ٤٦٣، ٥٣٢، ٥٤٠، ٥٥٢، ٥٥٥.
	٥٧٢، ٥٦٩.
١١٣-	المصدر نفسه: ٢٩، ٤٣، ٤٤، ١٣٧، ٢٤٨، ٢٥٨، ٣٣٣، ٣٧٥، ٤١٧، ٤١٨، ٤٦٢، ٥٢٠، ٥٣٢، ٥٥٥، ٥٦٣، ٥٧٢.
١١٤-	المصدر نفسه: ١٢، ٤٨٠، ٥٢٠.
١١٥-	المصدر نفسه: ١٣، ٩٣، ٤٢٤، ٥٢٠.
١١٦-	المصدر نفسه: ١٤، ١٠٢، ١٦٤، ٢٣٢، ٣٧١، ٤٨٣، ٥٢٣، ٥٦٤، ٥٧٠، ٥٧٨.
١١٧-	المصدر نفسه: ٣٧، ٤٠٩، ٤٨٠، ٥٢٠.
١١٨-	المصدر نفسه: ٩٨.
١١٩-	المصدر نفسه: ٤٨٠.
١٢٠-	المصدر نفسه: ٤١٥.
١٢١-	المصدر نفسه: ٩٢، ٥٦٤.
١٢٢-	المصدر نفسه: ٥٣، ٥٤٣، ٥٦٣.

١٥٠

ثالثاً: مصادر أخرى:

إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي (١٢٣)، تاريخ دمشق لابن عساكر (١٢٤)، السيرة النبوية لابن هشام (١٢٥)، التذكير بنعمة الله..... (١٢٦)، الكامل المبرد (١٢٧)، مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم (١٢٨).

المبحث الثالث: تحليل وتقويم المنهجية الدعوية لتفسير الصوف:

في هذا المبحث سنتكلم عن طريقة تفسير وتحليل بعض القضايا التي وردت في تفسير الصوف فضلاً عن تقويم بعض المسائل التي عالجها:

أولاً: طريقة تفسير الشيخ الصوف وخصائصها:

١- التركيز على طريقة محورية في تفسيره: تتصف طريقة الشيخ الصوف بالشمول والوضوح وبساطة العبارة التي لا يدخل فيها المفسر في التعقيدات الخلافية ولا التفصيلات المملة التي تخرج التفسير عن غايته، كان يركز على فكرة أساسية في تفسيره وهي الدعوة إلى الله في أهميتها في الإصلاح بأنواعه الفكري والأخلاقي والاجتماعي والسياسي بل نص على ذلك في مقدمته كما ذكرنا.

٢- ترتيب التفسير وخطته: وقد كان الشيخ الصوف موضوعياً في خطة بحثه فقد قسم تفسيره إلى:
أ- المقدمة: وهي مقدمتان: الأولى عامة (١٢٩) والثانية خاصة (١٣٠) بالتفسير وقد ذكر الأسباب والأهداف التي دعت لكتابة تفسيره، فالقرآن هو منطلق الإصلاح لأنه كتاب الله والأمة بحاجة لأن ترتبط به كما كانت في كل زمان وهي كما قال حاجة المجتمع العراقي خاصة والمجتمع الإسلامي عامة، ومن هذا المنطلق: بين أوصاف القرآن وفضائله وأعطى تعاريف متنوعة للقرآن تستوعب أنواع المدعوين. وذكر

١٢٣- المصدر نفسه: ٥٦.

١٢٤- المصدر نفسه: ٤٦٣.

١٢٥- المصدر نفسه: ١١٥.

١٢٦- المصدر نفسه: ٥١٩.

١٢٧- المصدر نفسه: ٢٠٦، ١٣٩.

١٢٨- المصدر نفسه: ٥٥.

١٢٩- المصدر نفسه: ٧-١٢.

١٣٠- المصدر نفسه: ١٣-٢٥.

الأدلة على عظمة القرآن بشهادة قريش وشهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأن القرآن هو رافع راية العلم والحضارة، ثم عقد مقارنة بين خطاب الله للأنبياء وأممهم وتميز خطاب الله سبحانه وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته ونقل لنا ذلك من كتاب ابن الجوزي.

ب- تفسير الفاتحة: يستفتح بفضائلها ثم بأسمائها، ويعطي المعنى العام ثم يبدأ بشرح معاني الاستعاذة من الشيطان ويبيّن بعد ذلك لماذا تبدأ بالبسملة وفضلها ثم يبدأ بتفسير السورة ويشرح البسملة وأسماء الله الحسنى فيها: الله، الرحمن، الرحيم، الرب، الملك، ثم يستمر في التفسير آية آية إلى آخرها ثم يستخرج ثلاث فوائد عامة في التعامل مع سورة الفاتحة.

ج - تفسير جزء عمّ: وبدأ بعد ذلك بتفسير جزء عمّ سورة سورة ابتداء من سورة النبأ حتى سورة الناس. ٣- طريقة التفسير: وأما طريقة تفسيره لجزء عمّ فلم يسر فيها على نسق واحد، فالسور من سورة النبأ إلى سورة الناس، كان تفسيره لها بذكر المعلومات الآتية قبل بداية السورة: مكان النزول، هل هي مكية أو مدنية، ويذكر عدد آياتها، ويذكر أسماءها الأخرى التي سميت بها قبل أن يبدأ بتفسير السورة، وتفاوت ذكر هذه المعلومات بحسب خصوصية كل سورة:

- فإما مكان النزول وبعد أي سورة نزلت فقد ذكره في السور الآتية: النبأ، النازعات، عبس، التكوير، المطففين، الطارق، الأعلى، الغاشية، القمر، البلد، الشمس، الليل، الضحى، التين، العلق، القدر، البيّنة، الزلزلة، العاديات، التكاثر.

- وأما السور التي ذكرت لها أسماء فهي: الفاتحة، النبأ، النازعات.

- وبعد متن السورة يضع عناوين فرعية لكل سورة ولم يتبع نسقا واحداً بذلك، فبعض السور يقسمها كالآتي:

(أ) مناسبة السورة لما قبلها.

(ب) التفسير.

والسور التي سار الشيخ فيها على هذا النسق هي: البروج، الطارق، الغاشية، الفجر، البلد، الشمس، الانشراح، التين، العلق، القدر، قريش، الفلق، الناس.

- ولبعض السور يذكر المناسبة وسبب النزول والتفسير وهي: النبأ، النازعات، عبس، المطففين، الليل، الضحى، البيّنة، العاديات، التكاثر، الهمزة، الفيل، الماعون، الكوثر، الكافرون، النصر، المسد.

- ومن بعض السور التي فسرها تفسيراً موضوعياً قاصداً: سورة العصر حيث أن لها خصوصية في

فضلها وأنها تجمع معاني القرآن وأنها معجزة القرآن وأنها تجمع عناصر الدعوة كلها. وسورة الماعون لأنها تتضمن قضايا اجتماعية وبخاصة عن الجانب الخيري في كفالة اليتيم وما يتعلق بذلك.

ثانياً: الجمع بين المناسبة والتفسير الموضوعي:

قلنا أن الشيخ الصواف استهدف إثبات كون القرآن مترابطاً من أوله إلى آخره وقد دَلَّ عنوان التفسير على ذلك: فاتحة القرآن وجزء عم الخاتم للقرآن، فأراد أن يثبت الوحدة الموضوعية بين أول القرآن وآخره وكما عبر عنه بأن الكتاب الذي أنزله الله الواحد "فإن ما بين دفتيه شيء واحد يرتبط كل حرف فيه بالذي قبله ارتباط الروح بالجسد، وأنه كالعقد المنضد ترتبط كل كلمة منه بالتي قبلها والتي بعدها ارتباط اليد بمعصمها" (١٣١).

فتراه قد ربط بين كل سور جزء عم بمناسبات منها ما كان منقولاً عن غيره، ومنها ما كان اجتهاداً منه، ومنها ما كان يتوسع في شرحه وما يتناسب مع فهم المخاطبين، فلذلك وظف الشيخ الصواف أنواع التفسير لإثبات الوحدة الموضوعية، والموضوع الأساسي الذي جعله موضوع القرآن هو الإسلام كدعوة مصدرها القرآن وأنه تضمن موضوعها ومناهجها ورسائلها وآدابها ومستلزماتها، وانعكاساتها على الفرد والمجتمع.

ثالثاً: جمع كل التفاسير والنقل عنها بجميع مناهجها واختلاف مدارس مؤلفيها:

فقد نقل عن تفاسير أهل السنة، وهم الذين يدين بعقيدتهم، ونقل عن أهل التفسير بالمأثور كالطبري وابن كثير وابن قيم الجوزية والقرطبي، كما نقل عن المعتزلة وعلى رأسهم الزمخشري، وعن الشيعة فاستشهد بالطبرسي والعياشي، ونقل عن المدرسة العقلية الاجتماعية ورواها كالشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا والشيخ أحمد مصطفى المراغي، ونقل عن المدرسة الدعوية وعميدها الشيخ حسن البنا في منهجيته التي أخذها عنه حين التقاه وتبناها فكراً وروحاً، ولم نجد نقولاً في تفسير الصواف تحدد ذلك لأن تراث الشيخ البنا التفسيري كان مبعثراً في بطون الصحف والمجلات، وأغلبها في وقت الأستاذ الصواف في حكم المفقود أو غير معروف، وهذا يرجع إلى الظروف السياسية التي مرت بها الحركة التي ينتمي إليها الشيخ الصواف، ونجده يكثر من النقل عن سيد قطب في تفسيره: في ظلال القرآن، وفي كثير من المواضع كان يدعو بفك أسره عندما كان مسجوناً ويدعو له بالرحمة بعد إعدامه رحمه الله.

وقد نقد الشيخ الصواف بعض الكتاب في بعض مواقع الإنترنت بأنه ينقل عن المبتدعة، ولكن الفكرة التي انطلق منها الشيخ الصواف في نقله عن مختلف المدارس التفسيرية هي اعتماده على منهجية بحث وعمل في منهجه الدعوي "فالحكمة ضالة المؤمن فهو أحق بها من أي إناءٍ خرجت"، كما أن الخطاب الوحدوي الموجه للأمة المسلمة كان سائداً على همه الدعوي خاصة وأن الصواف كان يلقي أحاديثه في التفسير في إذاعة بغداد، فهو يريد خطاب الأمة بكل أطيافها من سنة وشيعة، مستهدفاً في تلك الأوقات الشيعة العراقيين داعياً إياهم إلى التعاون مع السنة ضد إلحاد الشيوعية، فكان حديثه يتضمن النقل من مصادرهم التي أثنى عليها بعض المفسرين وخاصة الطبرسي والعياشي، فهم من أشهر مفسريهم وأقلهم مغالاة في نظر علماء أهل السنة والجماعة، ثم إنه لم ينقل عنهم ما يتعارض مع عقيدة أو حكم وإنما بعض اللفظات اللغوية والتفسيرية.

وكان يستشهد بنقول عن أئمة أهل البيت مثل سيدنا علي والحسن وعلي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق رضي الله عنهم منطلقاً من منهجية دعوية كان يمارسها قولاً وعملاً، وذلك قبل ١٩٥٩م، أي قبل قيام الحكم الجمهوري والذي حرك البواعث الطائفية بعد ذلك، بل واستغلت الطائفية سياسياً، ثم إن من منهجية الدعوة عدم تجريم الأشخاص والهيئات، فكان يلتزم بهذه القاعدة التي قالها الإمام الشافعي والتي نقلها رشيد رضا حيث سميت "قاعدة المنار" وعملت بها المدرسة الدعوية والشيخ الصواف أحد روادها.

رابعاً: تعامله مع مصادر السنة:

ذكرنا في مصادر الصواف في تفسيره أمهات كتب السنة التي كانت معلماً في تفسيره، وكثرة نقوله دليل على ذلك وخاصة الكتب الستة والموطأ ومسنند الإمام أحمد فضلاً عن كتب التفسير بالمأثور والتي تهتم بالأحاديث، وقد كان الصواف يراعي العزو للحديث إلى مصادره ويذكر درجة صحته فيقول مثلاً: "ذكره ابن كثير وضعفه"، "لم يرد في الصحيح"، "وردت بعض الأخبار وإن لم تعرف في صحيحها" (١٣٢). وقد أورد الشيخ الصواف بعض الأحاديث الضعيفة وخاصة بعض الإسرائيليات وهو لم ينص عليها وخاصة ما يتعلق منها بقصص الأنبياء، وهذه المسألة يجب أن تحلل في إطارها:

* فالمعلوم أن الأخبار الإسرائيلية منها ما هو مسكوت عنها لا نصدقها ولا نكذبها وهذا هو التوجه النبوي في الحكم عليها.

* والمعلوم أن الأستاذ الصواف كان متحدثاً في خطاب عام وليس في حلقة علمية وتفسيره موجّه للشباب كما ذكر، ولكي يكون الحديث مؤثراً فإنه يحتاج إلى القصص التي تجذب السامع فيلتقط المعلومة فضلاً عن الأثر النفسي والسلوكي للقصة، فإذا كان الحديث الضعيف أو الأخبار الإسرائيلية لا تتعارض مع الأصول العامة فإنه ينقلها وهو قد رواها عن كتب التفسير التي نقل عنها وعزا إليها ذلك النقل. ومع ما قلته فإنني أعتقد أنه لو تيسرت له الفرصة في تخريج أحاديثه ونقوله لكان أولى، لكن بسبب ضيق وقت الشيخ وتعجله نشر الكتاب قبل وفاته ارتضاه على ما هو عليه، وعندي أنه لا عيب عليه ولا يجعلنا نجرح في تفسير الرجل لأمر سبقه إليه كثير من المفسرين كابن القيم وابن الجوزي وابن كثير وغيرهم.

خامساً: الربط بين الأمور الغيبية والآيات الكونية:

كان الشيخ الصواف يستخدم التفسير العلمي في هذا الربط وكان من أهم مصادره القديمة تفسير الرازي (١٣٣) وأما التفاسير الحديثة فأبرزها تفسير الجواهر للشيخ طنطاوي جوهرى (١٣٤) و في ظلال القرآن للشهيد السيد قطب (١٣٥) وكان الصواف يذكر آراءه في ذلك (١٣٦).

سادساً: ذكر بعض الأحكام الفقهية دون توسع:

كان الشيخ الصواف يذكر بعض الأحكام الفقهية ومما يخدم أهدافه الدعوية في التفسير (١٣٧) مثل الإصلاح الأسري وزيارة القبور والسهو في الصلاة وحكم الاستعاذة (١٣٨).

سابعاً: تناول بعض القضايا العقديّة من خلال مذهب أهل السنة والجماعة:

تناول الشيخ الصواف بعض قضايا العقيدة المبنية على ما ذهب إليه علماء أهل السنة والجماعة (١٣٩) مثل المفاضلة بين الأنبياء، أو بين الأنبياء والملائكة، وردّ على المعتزلة. وتحدث عن نهي

١٣٣- المصدر نفسه: ١٥٦.

١٣٤- المصدر نفسه: ٢١٠، ٢١٢، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٩، ٣٤٤، ٣٩٦، ٤٧٤، ٥٢٠.

١٣٥- المصدر نفسه: ١٢٧، ١٣٠، ١٣٧، ٢٠١، ٢٤١، ٢٥١، ٣٤٦، ٤٤٠.

١٣٦- المصدر نفسه: ١٥٧، ٢٣٩، ٢٨٧، ٣٢٩، ٣٤٥.

١٣٧- المصدر نفسه: ٣٨٨، ٤٦١، ٥٢٤.

١٣٨- المصدر نفسه: ٣١.

١٣٩- المصدر نفسه: ١٤٢، ١٦٠، ٥٦٥، ٥٦٦.

الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين عن التفضيل بين الأنبياء "لا تفضلوني على يونس بن متى" وخطأ الزمخشري بقوله في تفضيل الملائكة على الأنبياء.

ثامناً: تعامله مع القضايا التي تعددت الآراء حولها:

تظهر شخصية الصوف العلمية في تعامله مع الأفكار والآراء الشخصية التي لها ترجيحاتها واختياراتها في الأبواب الفقهية والدعوية والتفسيرية، وقد دون في طيات حديثه عبارات: "وقد أخطأ.."(١٤٠)، "وهنا ملاحظة.."(١٤١)، "والخلاصة.."(١٤٢)، "وخلاصة المعنى.."(١٤٣)، و "ويصدق قلبي هذا قول..."(١٤٤).

تاسعاً: إسناد الأقوال إلى أصحابها:

يذكر المصادر التي يأخذ منها ويذكر الجزء والصفحة، وتلك فضيلة، يقول ابن عبد البر القرطبي: "من بركة العلم إسناد القول إلى قائله".

الخاتمة ونتائج البحث:

بعد هذه الجولة مع علم من أعلام الإسلام في هذا العصر، في رحلته التي دامت ثمانين سنة وكانت تعج بالأحداث والحركة المستمرة في خدمة هذا الدين والأمة الإسلامية خاصة والإنسانية عامة، فارساً في كل ميادين البناء والإصلاح والتطوير، طامعاً في أن يصنع الحياة بمنهج الله خالق الحياة والإنسان، بعد هذه الجولة البحثية نرجو أن نكون قد عرّفنا بالشيخ الصوف سعيّاً للكشف عن شعاع من إسهاماته في جانب مهم وهو إسهامه في الدراسات الإسلامية والفكر الإسلامي، وخاصة في مجال التفسير من خلال دراسة تفسيره فاتحة القرآن وجزء عمّ الخاتم للقرآن: تفسير وبيان، والذي كان معبراً فيه عن منهجه لصناعة الحياة من خلال كتاب الله، فقد استخدم مصادر متنوعة ذكرها ومنها ما استنبطها من خلال دراساته وخبراته المتراكمة وتوظيفه لمناهج متعددة في دراسته للقرآن فخرج لنا هذا التفسير بعد طول معاناة وتجربة.

١٤٠- المصدر نفسه: ١٤٢.

١٤١- المصدر نفسه: ١١٤.

١٤٢- المصدر نفسه: ٤٩٢.

١٤٣- المصدر نفسه: ٩٣.

١٤٤- المصدر نفسه: ٢٠٥، ١٠٧.

- وأما النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث فهي:
- ١- أن حياة الشيخ محمد محمود الصواف الطائي جمال الدين بحاجة إلى دراسات أكاديمية متنوعة في جوانب نشاطه: في التفسير وفي الدعوة والقيادة، والسياسة، والإصلاح الاجتماعي، والإبداع، والجهاد، والخطابة فهو من خطباء العصر، والعمل الخيري والاجتماعي.
 - ٢- أنه شخصية قيادية متميزة في آدابها ومحاوراتها السياسية وفي المفاوضات.
 - ٣- أنه عمود من أعمدة المدرسة الدعوية والحركية في التفسير وهي مدرسة حية ومعتادة لأنها مدرسة منهج وليست مدرسة شخصية، وقد باتت مؤلفات التفسير المتبعة لمنهجية هذه المدرسة من أكثر الكتب التفسيرية انتشاراً في عصرنا بين المسلمين، وقد استفاد من منهجها مفسرون كتبوا تفاسيرهم وشرحهم لآيات القرآن بلغات غير عربية كثيرة.
 - ٤- أن تفسيره يغلب عليه المنهج الموضوعي.
 - ٥- أثبت الشيخ الصواف التناسب القرآني بين فاتحته وخاتمته.
- وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
